



سلسلة كتب
سور الصين العظيم

تاريخ الصين

(الجزء الثاني)



Bibliotheca Alexandrina

٠٠٦٤٠

ب "سور الصين العظيم"

(تاريخ الصين)
(الجزء الثانى)

الطبعة الاولى : عام ١٩٨٧

الناشر : دار « بناء الصين » للنشر (بكين)
الموزع : الشركة الصينية العالمية لتجارة الكتب
(كوزى شويان ص . ب ٣٩٩ بكين ، الصين)
طبع في مطبع اللغات الاجنبية

المقدمة

الصين من أقدم بلاد العالم حضارة وتاريخها المكتوب يعود الى اربعة آلاف سنة . يضم ترابها كنوزا اثرية وفيرة فتشكل علامة بارزة على حضارتها العريقة . وقد بدأت مجلة « بناء الصين » من شهر اكتوبر ١٩٧٨ فى نشر سلسلة من تاريخ الصين . وقد جمعناها طبقا للتسلسل التاريخى - يجمعها هذا الكتيب ، بناء على رغبات قرائنا الكرام .

يقع الكتيب فى جزئين ، الجزء الاول يضم نشاطات الانسان فى العصور البدائية والمجتمع العبودى وبعض الفترات من المجتمع الاقطاعى (قبل القرن العاشر الميلادى) - ١٥ مقالة . اضافة الى الصور الاثرية والايضاحات بالرسوم . والجزء الثانى سيضم تاريخ الصين من القرن الحادى عشر الى نهاية المجتمع الاقطاعى فى اوائل القرن العشرين .

الفهرس

- ٧ أسرة سونغ - سونغ الشمالية ، لياو ، شيا
 أسرة سونغ - الحروب الفلاحية والاصلاحات السياسية في أسرة
 ١٥ سونغ الشمالية
 ٢٠ أسرة سونغ - جين ، سونغ الجنوبية
 ٢٧ أسرة سونغ - الثقافة في عهد اسرتى سونغ الشمالية والجنوبية
 ٣٢ أسرة يوان - الوحدة والاقتصاد في عهد أسرة يوان
 ٣٧ أسرة يوان - التناقضات الاجتماعية وسقوط أسرة يوان
 ٤١ العلاقات الخارجية والثقافة في عهد أسرة يوان
 ٤٧ أسرة مينغ - السياسة والاقتصاد في عهد أسرة مينغ
 ٥٣ أسرة مينغ - العلاقات الخارجية
 ٥٨ أسرة مينغ - العلوم والثقافة
 ٦٤ أسرة مينغ - نهوض قومية مانتشو والانقراض الفلاحية
 ٧٢ أسرة مينغ - الحروب للدفاع عن سيادة الارض
 ٧٦ أسرة تشينغ - الاقتصاد والسياسة في أوائل عهد أسرة تشينغ
 أسرة تشينغ - الكفاح من اجل توطيد الدولة الموحدة المتعددة
 ٨٢ القوميات
 ٨٩ أسرة تشينغ - الثقافة في عهد أسرة تشينغ

سونغ الشمالية ، لياو ، شيا

بقلم : جياو جيان

استسلام القائد المكسرى تشو ون - على رأس حفنة من قوات الانتفاضة الفلاحية بشمال الصين في اواخر اسرة تانغ - مخالفاً وفيات الثوار ، لعائلة تانغ الملكية عام ٩٠٧ ، وجعل من امبراطور تانغ دمية في يده بعد ان اعاده الى عرش الحكم . ثم انشأ حكم اسرة ليانغ بشمال الصين ونصب نفسه ملكاً عليها . وظهرت في الخمسين سنة لتأسيس ليانغ اربع اسر اخرى هي : تانغ ، جين ، هان ، تشو (١) ، اسس كل منها سلطتها على وادى النهر الاصفر ، وكذلك قامت دويلة في شانشى بشمال الصين وتسع دويلات اخرى بجنوبها (٢) . عرفت تلك المرحلة بمهود الأسر الخمس والدويلات العشر كما ذكر ذلك المؤرخون الصينيون . وفي تلك الاثناء عاش ابناء القوميات المختلفة عيشة بائسة في خضم الاشتباكات القائمة التي نشبت بين الملوك المتصارعين ، وكم كانوا يترقبون الى انتهاء ذلك الوضع الفوضوى الخارج عن السلطة المركزية .

الاحوال السياسية فى اسرة سونغ

وقع انقلاب عسكري ضد اسرة تشو شمال شرقى كايفنغ فى الشهر الاول القمري عام ٩٦٠ ، وخلع رجال الانقلاب على تشاو كوانغ ين القائد العسكري لاسرة تشو رداء اصفر رمزاً لاخشيائه امبراطوراً للبلاد . هذا وقد تأسست اسرة سونغ ، واتخذت من مدينة دونغجيينغ (كايفنغ ، مقاطعة خنان ، حالياً) عاصمة لها . واطلق عليها المؤرخون الصينيون اسم اسرة سونغ وكان تشاو كوانغ

ين اول اباطرتها حاملا لقب سونغ ثاي تسو (تولى الحكم من عام ٩٦٠ - عام ٩٧٦) وبعد ذلك دارت رحى الحرب بينها وبين سائر الدويلات والاسر الملكية الاخرى فتغلبت عليها ووضع بذلك حدا للشقاق وتحققت وحدة البلاد كلها .

احكم تشاو كوانغ ين قبضته على الجيش بناء على اقتراح تشاو بو (عام ٩٢٢ - عام ٩٩٢) رئيس الوزارة الذى احتال لانتزاع قيادة الجيش من القواد العسكريين من اجل توطيد الحكم الملكى وتميز السلطة المركزية المطلقة .

ذكرت الكتب التاريخية : فى يوم من اوائل الخريف عام ٩٦١ ، اقام الامبراطور تشاو كوانغ ين مأدبة حضرها القادة العسكريون من بينهم مشاهير القادة مثل شى شيو شين (عام ٩٢٨ - ٩٨٤) وقدم لهم الاقداح يعبون منها وقال لهم : « لولا كم مالبست رداء الامبراطور ، ولكنى مازلت قلقا ومضطربا حتى فى النوم منذ جلست على كرسى الحكم » . فسألوه عن السبب فرد عليهم قائلا : « كيف يتصرف احدكم لو خلع عليه ذات يوم رداء اصفر ؟ لا يمكن ان يرفض ذلك . » فلما سمعوا كلامه اخذتهم الحيرة والدهشة وسألوه عن ذلك . فقال تشاو : « هل من شىء افضل من شراء الاراضى الخصبة وتشييد القصور الفخمة لتتمتعوا بالنعيم وراحة البال طول الحياة بدلا من اثاره الشكوك بين الامبراطور وبين الوزراء ؟ » وفى اليوم التالى قدموا استقالاتهم بحجة أنهم مرضى . وهكذا استولى الامبراطور على قيادة الجيش واعطاهم عطاء سخيا . فاطلق المؤرخون الصينيون على هذه الفترة : « كأس من الخمر ينتزع قيادة الجيش . »

ولم تمض على ذلك مدة قصيرة حتى جرد ولاية الاقاليم من سلطاتهم العسكرية وبعد ذلك اوفد الوزراء لادارة الشؤون المحلية فى ارجاء البلاد وآخرين لادارة الشؤون المالية بينما وضع لوائح وأنظمة تنص على ان يتكفل الموظفون بنجم وتوزيع الضرائب والعجايا على المؤسسات المحلية والحكومة المركزية . وبالإضافة الى ذلك وضع قاعدة لتكوين قوة لحراسة الامبراطور ، واوفد الجيوش الى حدود البلاد لحمايتها . وهكذا اعيدت السلطات العسكرية والادارية والمالية الى حكومة سونغ المركزية . ومن ثم انتهى وضع انفصال الاقاليم النائية عن الحكومة المركزية والذى حدث فى اواخر اسرة تانغ .

التطورات الاجتماعية والاقتصادية

كان الشعب في عهد أسرة سونغ ينقسم الى فئتين : اقلية وهى سيدة الارض تمتلك مساحات شاسعة من الاراضى الخصبة . واكثرية مدقعة تستأجر الارض من الاولى . لذا دفع الكادح نصف دخله السنوى او اكثر كإيجارات . ولم يكن يستطيع ان يسند بالتبصف الآخر رقبه فضلا عن افراد أسرته ؛ فاضطر الى ان يستقرض من سيدة في مقابل السداد بضعتين بعد موسم حصاد الخريف . ولما تحسنت العلاقات بين الفئتين في عهد أسرة سونغ حيث صار بإمكان الكادح ان يعيد الارض الى صاحبها الاصلى ويستأجر غيرها من آخر بحرية بعد وفاء الدين تماما . وكان لهذا العمل نتائج مثمرة احرزها الفلاحون عبر التضاللات الطويلة المدى في تطوير الانتاج .

اتقن الفلاحون فن الزراعة ، استخدموا البعزق والمدمة والمحراث في وسط الصين وشمالها وتوسعت مساحات الحقول المنزرعة . واطافة الى ذلك زرع بالمجرى الاسفل والاولسط لنهر اليانغتسى وادوية نهر مينجيانغ ونهر اللؤلؤ نباتات الجاورس والقمح والذرة والفل من شمال اقليم آنهوى وفي منطقة فوجيان الساحلية الارز من مدينة تشامبا الفيتنامية . ثم نقلت زراعة الارز الى اقليم جيانغسو ونشجيانغ وادى نهر هوايخه . وزرعت شجيرات الشاي في مساحات شاسعة وبمرتفعات فوجيان ، تشجيانغ ، هوبى ، هونان ، آنهوى .

وشهدت المهن الحرفية مثل الحدادة وصناعة الخزفيات والحرير تطورا ملحوظا في عهد أسرة سونغ ، واستخرج الفحم على نطاق واسع ، فقد كان سكان شانشى وكايونغ يستعملونه وقودا للطبخ والتدفئة كما انشئت في اماكن كثيرة معامل الحدادة التى انتجت كميات هائلة من الآلات الزراعية والاسلحة واللوازم اليومية . والجدير بالذكر ان الاسلحة صبحت اكثر مضاه وذلك باستعمال الفحم في الحدادة واستخرجت حكومة سونغ سنويا ٣٥٠٠ طن من الحديد في اواسط القرن الحادى عشر .

انتشر ثلاثون تنورا لصناعة الخزفيات في انحاء البلاد في عهد أسرة سونغ اشهرها تنور دينغ بحدود محافظة تشيوييانغ ، مطبعة خبى ، حاليا والنى انتج كثيرا من الخزفيات والوانى المختلفة الاشكال . فمثلا ، كانت الانوانى

الخزفية اشكالها عديدة بعضها يشبه الخوخ والربان وما الى ذلك . شهد هذا التنور تطورات عظيمة على مر الزمن حتى تحول الى عاصمة الخزفيات الشهيرة في العالم . تطورت صناعة الحرائر تطورا عظيما في عهد اسرة سونغ وبلغت ارقى المستويات بمنطقة سيتشوان . فقد نقل الامبراطور تشاو كوانغ ين مئتي نساج من سيتشوان الى العاصمة وبعد ذلك انتشرت معامل نسج الحرائر بإدارة الحكومة في كايونغ ولويانغ ورونتشو (مدينة تشنجنغينغ بمقاطعة جياتنغو ، حاليا) وتسييتشو (محافظة سانتاي ، مقاطعة سيتشوان ، حاليا) فازدادت اصناف المنتجات الحريرية وتعددت ألوانها .

وشهدت التجارة تطورا عظيما في عهد اسرة سونغ فظهرت المحلات التجارية في المدن الكبيرة والاسواق في البلدات والارياف اكثر منها في عهد اسرة تانغ وبيعت فيها الغلال والقمشة والمواشي والاولى الخزفية والفخارية ثم تحولت الاسواق الريفية الى مدن صغيرة عبر الزمن .

وكانت عاصمة سونغ مدينة دونججينغ (كايونغ ، حاليا) اكثر المدن ازدهارا ، بلغ تعدادها آنذاك مائتي الف عائلة وتعددت فيها المهن الحرفية وكثرت المتنزعات واماكن التسلية التي تجمع فيها كثير من الفنانين بعضهم يعرض المسرحيات ويسرد الروايات الطويلة او القصيرة وبعضهم يقدم الالاعاب البهلوانية والمصارعة ولغير يلعب بالكرة (٣) . وفي ذلك الحين ، ظهر رسام شهير تشانغ تسي دوان واخرج لوحة فنية بعنوان : « عل ضفاف النهر في عيد تشينمينغ » تصف ازدهار العاصمة دونججينغ ، عل امتداد ضفتي نهر بيان ، ويرى المرء فيها المتاجر تنتصب بجانبى الشارع والباعة يهللون ومواكب المارة تتردد جبهة وذهابا .

وكانت النقود الحديدية والنحاسية رائعة في السوق وكذلك النقود الفضية بينما ظهرت نقود « جياوتسي » ، اقدم النقود الورقية في العالم في عهد اسرة سونغ .

تأسيس اسرة لياو وعلاقتها باسرة سونغ

هاضرت عدة دويلات من الاقليات القومية اسرة سونغ ، اهمها اسرة لياو واسرة شيا من قبيلة دانغشيانغ في شمال غربي الصين .

استقرت قبائل كيتان بوادى نهر لياو واتصلت بوسط الصين في عهد أسرة
وى الشمالية ، وعاش افرادها على الرعى والصيد البرى والنهرى واتجروا في
الماعز والخيول والجلود مع قومية الهان . وامتد نفوذها الى خبى وشانشى في
اواخر اسرة تانغ . وقوجه بعض الفلاحين الهانين الى شمال السور العظيم فرارا
من الحروب المتتالية فيما بين ولاة الاقاليم حيث عاش ابناء هان وكيتان جنبا الى
جنب وعلمت الفئة الاولى جيرانها فنون الزراعة والفزل والنسيج وصنع الملح
والحدادة وتشيد البيوت والمدن المسورة .

وحد أبكى قبائل كيتان في اوائل القرن العاشر واهاب بها الى تطوير
الزراعة وتشيد المدن المسورة واتقان الثقافة الهانية . ثم اسس دولة كيتان
ونصب نفسه ملكا عليها عام ٩٢٦ ثم استبدل كيتان بأسرة لياو واختار شانغجىغ
(قرب لواء بالين ، مقاطعة لياونينغ ، حاليا) عاصمة للدولة وبعد ذلك امتد
نفوذه الى سواحل البحر شرقا ، الى جبل آلتاي غربا ومن الصحراء المنغولية وادى
نهر هيلونغ شمالا الى سهول خبى الشاسعة جنوبا فتجمع في ظل حكمه قوميات
كيتان وهان وهويخه . واطافة الى ذلك احضر بعض العلماء الهانين لوضع
القوانين والانظمة . وفي اواخر حكم أبكى ظهرت اللغة الكيتانية بدلا من النحوت
على الخشب . وعندما جلس ابن أبكى على كرسى الحكم ، طلب منه شى جينغ
تانغ القائد المسكرى لأسرة تانغ المعاصرة لكيتان ، ان يساعده على الاطاحة
بأسرة تانغ على شرط ان يكون وزيرا لابن أبكى ويضم الارض الى خريطة كيتان .
فلما أسس شى جينغ تانغ مملكة جين بعد اباداة تانغ ، عمل على الوفاء بالوعد
وعرض على ابن أبكى اراضى شاسعة في يوتشو ويونتشو وكان ينادى ملك لياو
بقوله « يا والدى السلطان » . حينذاك ، تحولت اسرة لياو الى سلطة حكم اقطاعية
بزعامة شيوخ القبائل وملوك الاراضى من قوميته هان وكيتان .

شنت أسرة لياو هجمات ضد اسرة سونغ من اجل نهب الثروات والسكان
عام ١٠٠٤ واقتربت قواها من مدينة تشاننشو شمال النهر الاصفر (عاصمة محافظة
بويانغ ، مقاطعة خنان ، حاليا) فاصبحت عاصمة سونغ مهددة .

وفي يوم من ايام الخريف عام ١٠٠٤ وصلت الى امبراطور سونغ تشن تسونغ
(٩٩٧ - ١٠٢٢) تقارير خطيرة تشير الى وقوع تشاننشو في قبضة الغزاة

من قوات لياو فاخذته القلق والاضطراب وفى الحال استشار الوزراء فاقترح عليه بعضهم ان يفر الى الجنوب فاحتد رئيس الوزارة كيو تشون (٩٦١ - عام ١٠٢٣) واتهمهم بالخيانة وارتأى بدلا من ذلك مقاومة الغزاة ، وان يكون الامبراطور على رأس الجيش . وبينما هو فى طريقه الى تشاننشو لصحه احد الخونة بالفرار . فقال له كبير الوزراء : « لا سبيل لنا الا ان نتقدم الى الامام ولو رجعنا خطوة واحدة فنسوف تفتر هم المحاربين . » فواصل الامبراطور التقدم الى الامام حتى وصل الى شمال مدينة تشاننشو .

لم يكن امبراطور سونغ يحرص على محاربة لياو بل سعى الى مفاوضات سلمية فكانت النتيجة ان انسحبت قوات لياو وتدفعت حكومة سونغ سنويا لها مائة الف اوقية من الفضة ومائتى الف پى (٤) من الحرير . وعرفت هذه الحادثة باسم : « التحالف على حافة تشاننشو » .

وعقب ذلك اقامت حكومة سونغ اسواقا تجارية فى شيونغتشو وباتشو وغيرهما على امتداد الحدود بين البلدين . وكان التجار يبيعون فيها المنتجات الحربية والارز والشاى والخ ويشترى من تجار لياو الاغنام والخيول والجمال وما الى ذلك . وازدادت الى ذلك ، فقلت الى لياو صناعة الخزفيات والطباعة فاتقنتها الصناع من قومية لياو وتمكنوا من صناعة الادوات الخزفية وطبع الكتب ومن ضمنها الموسوعة البوذية .

تأسيس شيا الغربية وعلاقتها مع اسرة سونغ

تنقلت قبيلة دانغشيانغ من فروع قبيلة تشيانغ على امتداد مناطق نينغشيا وقانسو وشمال غربى شانشى حاليا للرعى منذ اواسط عهد اسرة تانغ . واحتل الزعماء من قبيلة دانغشيانغ مساحات شاسعة من الممر المؤدى الى قانسو فى اوائل اسرة سونغ . فى بداية الامر لم ينجح حكام سونغ فى اخضاعهم . فوجه زعيم دانغشيانغ وجهه الى اسرة لياو التى منحته لقب ملك شيا وقبل ايضا ما منحت له اسرة سونغ لتعزيز الصلات بين الطرفين . ثم اعلنت مملكة شيا الكبرى على يد زعيم القبيلة يوان هاو عام ١٠٣٨ ، ووقع اختياره على شينغتشينغ (مدينة ينتشوان عاصمة مطلقة نينغشيا الذاتية للحكم لقومية هوى ، حاليا) لاتخاذها

عاصمة واسماها المؤرخون الصينيون مملكة شيا الغربية لوقوعها شمال غربي سونغ . اتقن يوان هاو لغة الهان ، وطالع كتب القانون والحرب باللغة الهانية ووضع سلسلة من انظمة التوظيف والتجنيد وكذلك عين بعض الهانين لادارة مناصب الهامة وظهرت الى الوجود لغة شيا الغربية في عهده وبعد ذلك انتقلت شيا الغربية الى المجتمع الاقطاعي تدريجيا .

لقد استوطن في شيا الغربية قوميات مختلفة من دانغشيانغ وتوفان وهويخه الهان وغيرها من القوميات التي عاشت على الرعي ، وكانت المنتجات المحلية عديدة مثل الابقار والغنم والخيول والملح وانتشرت على امتداد ضفتي النهر الاصفر حقول شاسعة زرع فيها الشعير وشعير الهضاب وكان معظم المزارعين من قومية الهان ، فلما نزلت بهم الآفات الطبيعية يستوردون الغلال من اسرة سونغ . انقطعت الصلات بين اسرتي سونغ وشيا منذ تولى يوان هاو الحكم الذي شن الهجمات ضد اسرة سونغ وتكبد كل منهما خسارة بالغة واثرت الحرب التي استغرقت سنوات عديدة على استيراد الغلال واللوازم اليومية من اسرة سونغ فمل الشعب الحرب . ولم يكن بوسع يوان هاو الا ان يسعى وراء تحقيق الهدنة . هذا من جهة ومن جهة اخرى ، رغبت حكومة سونغ في تحقيق الهدنة بسبب صعوبة النفقات الحربية وانتهى الامر الى ايقاف الحرب بين البلدين عام ١٠٤٤ فعاد يوان هاو وزيرا لامبراطور سونغ الذي منحه سنويا ٨٠ الف اوقية من الفضة و ١٥٠ الف بي من الحرير و ١٥ طنا من الشاي .

وبعد عدة لاتفاقيات بين سونغ وشيا اقيمت الاسواق بمنطقة الحدود بينهما للتجارة فقايضت اسرة سونغ المنتجات الحربية والغلال والخزفيات وادوات اللك ونحوها بالخيول والابقار والاعنام والابل والصوف . وانشأت شيا الغربية المدارس الابتدائية والعليا على غرارها في اسرة سونغ واتمت ترجمة الكتب باللغة الهانية الى لغة شيا كما ألف بعض العلماء الكتب التاريخية والادبية والطبية وما الى ذلك .

١ - كان اسم الأسر الملكية الخمس حين تأسست : ليانغ ، تانغ ، جين ، هان ، تشو .

- ٢ - الدويلات العشر : شو ، وو ، مين ، وويوى ،
الجنوبية ، نانينغ ، شو الثانية ، تانغ الجنوبية ، هان السما
- ٣ - لعبة الكرة تشير الى رياضة بدنية فى عهد اسرة سونغ .
من الجلد المحشو بالریش ، وتختلف عن الكرة فى يومنا هذا .
- ٤ - پى : وحدة قياس صينية قديمة تساوى ٣٣ م .

الحروب الفلاحية والاصلاحات السياسية فى عهد أسرة سونغ الشمالية

تضع حكومة سونغ (٩٦٠ - ١١٢٧) حدا لمساحات الحقول المنزوعة فتوسع كبار الموظفين محليا او مركزيا وملاك الاراضى فى شراء الاراضى حتى تجمعت مساحات شاسعة منها بيد فئة قليلة وخاصة فى منطقة سيتشوان حيث كانت نسبة الفلاحين المستأجرين ٧٠ ٪ - ٨٠ ٪ من مجموع سكان سيتشوان آنذاك . وكان الواحد من ملاك الاراضى يستعبد عشرات او عدة مئات بل آلاف من الفلاحين المستأجرين فافرضا عليهم الضرائب الباهظة رغم انوفهم فضلا عن ايجارات الاراضى . ولما قام بعض الفلاحين بمزاولة اعمال مثل الغزل والنسيج وقطف الشاي وامثالها اعلنت حكومة سونغ ان الحرائر والقماش والشاي مواد تحتكرها الحكومة ولا تسمح لأحد سواها بالاتجار فيها . وفى نفس الوقت كان الموظفون المحليون ينهبون الأموال من السكان ويفرضون عليهم ضرائب غير معقولة حتى ان الفلاحين الفقراء ازدادوا فقرا على فقر واصبحوا تحت رحمة ائباب الجوع وسيطاط البرد . هذا من جهة ، ومن جهة اخرى ، كان ملاك الاراضى وكبار الموظفين يعيشون فى بلذخ وترف . فقد جاء فى كتب التاريخ : كان ملاك الاراضى وكبار الموظفين ينفقون الملايين من النقود فى لعبة مصارعة الديكة وكانت ألجمة أحصنتهم من الذهب .

شعار المساواة بين الغنى والفقير

قامت الانتفاضة الفلاحية عام ٩٩٣ بقيادة الفلاحين وانغ شياو بوه ولى شون بمدينة تشينغشونغ (جنوب محافظة قوانشيان ، مقاطعة سيتشوان ، حاليا) . فقال وانغ منطلقا من الهوة الواسعة بين الغنى والفقير : اننا نقوم بهذا التمرد بسبب عدم

المساواة بين الفقير والغنى وفى سبيل تحقيق المساواة بينكم ايها الفقراء وبين الاغنياء . وكان بذلك اول من رفع شعار تحقيق المساواة بين الفقراء والاغنياء فنهض الفلاحون الفقراء استجابة لدعوته .

احتلت قوات الانتفاضة مدينة تشنغدو عام ١٩٤٤ وانشأت هناك دولة شو الكبرى ونجحت فى السيطرة على بعض الاجزاء من منطقة سيتشوان . وفى الحال ، جمعت حكومة سونغ جشودا حاشدة لقمع المتمردين حتى انتهت قوات الانتفاضة الى الفشل فى ربيع عام ١٩٤٥ .

اصلاح وانغ آن شى

تفاقت ازمة اسرة سونغ الاقتصادية بسبب توسيع الجيش وزيادة الموظفين . ومع ذلك عرضت الحكومة كميات هائلة من الفضة والحرائر سنويا على مملكتى لياو وشيا الغربية . ولما صعب عليها ان تدفع النفقات العسكرية والمزبقات الشهرية لجأت الى زيادة الضرائب والأتاوى حتى بلغت الابعاء الثقيلة على اكثاف الفلاحين حدا لا يطاق كما كانت ٧٠ ٪ من الحقول المنزوعة بيد البلاء الملكى والارستقراطيين وكبار الموظفين وملوك الاراضى . وكلما وقعت نازلة من القحط او الفيضان اضطر الفلاحون الى الاقتراض من ملاك الاراضى كما غادر بعضهم مسقط رؤوسهم متشردين فى كل مكان . واستمرت الحالة الى واسط عهد اسرة سونغ حتى نشبت الانتفاضات الفلاحية باطراد بينما كانت اسرة سونغ مهددة بمخاطر من مملكتى لياو وشيا الغربية ، فواجهت الطبقة الحاكمة فى تلك الاسرة ازمة سياسية خطيرة آنذاك

وقع الاختيار على وانغ آن شى (عام ١٠٢١ - ١٠٨٦) لتولى رئاسة الوزارة لتحقيق الاصلاحات السياسية حين تولى سونغ شن تسونغ سلطة الحكم عام ١٠٦٩ م وتمنت الطبقة الحاكمة ان يضع الاصلاحات السياسية موضع التنفيذ كيما يتحقق توفير الرخاء للدولة وتقوية الجيش وتحقيق التناقضات الطبقيّة وانقاذ الحكم الاقطاعى من ازمته الخطيرة . وكان وانغ آن شى يرى ان فقر الدولة يرجع الى قلة المنتجات فوجب ان تتخذ اجراءات لمضاعفتها والحد من استغلال اصحاب الاراضى للفلاحين .

وكانت اصلاحات وانغ آن شى كالتالى :

نظام سداد الديون بالفائدة فى موسم الحصاد :

إذا افترض الفلاحون الى الغلال فى الايام الفاصلة بين موسم زراعة الربيع وموسم حصاد الخريف اقرضتهم الحكومة مالا او غلالا بفائدة ٢٠ ٪ ، فوضع بذلك حد لاستغلال الفلاحين وجلب للدولة دخولا زائدة
نظام التحنيد :

فرضت الحكومة نفقات معينة على كل عائلة فقيرة أو ميسورة وجب على أفرادها تأدية الخدمة العسكرية وإذا ما تم دفع المال يستثنى عن الخدمة العسكرية .
أما عوائل كبار الموظفين وملاك الاراضى فوجب عليها ان تدفع مبالغ معينة عن ابنائهم الذين لا يرغبون فى خدمة الجيش . وكان هذا مفيدا لتخفيض الاعباء الثقيلة على كواهل الفلاحين وتوفير ضمانات للانتاج الزراعى .

نظام الرى واستصلاح الاراضى البور :

شجعت الحكومة على تشييد منشآت الرى واستصلاح الاراضى البور .
ومسحت الحقول المنزوعة فى انحاء البلاد وسجلت ما استولى عليه اصحاب الاراضى ، وفرضت الضرائب حسب احوال الاراضى كما ونوعا ، ولم يستثن من ذلك كبار الموظفين وملاك الاراضى فحقق هذا العمل للدولة الاقطاعية اموالا طائلة دخلت مخزيتها .

نظام الأمن العام :

نظمت الحكومة جميع الفلاحين ، كل عشر عوائل فى وحدة وكل خمسين عائلة فى جماعة ، وإذا كان فى كل عائلة فتيان وجب عليها ان تعين احدها خفيرا للجماعة ، ويجرى التدريب العسكرى بعد موسم الحصاد ويحمى المجتمع من الفتن ويلتحق بالجيش حين نشوب الحرب ، مما خفض نفقات الجيش .
نجح القانون الجديد فى تحقيق بعض المنجزات بعد مضى عشر سنوات على تنفيذها فقد بنيت عشرة آلاف من منشآت الرى فى انحاء البلاد فى السنة

السادسة بعد اعلانها ، ارتوت بها مساحات شاسعة من الحقول تبلغ مليونين واربعمائة الف هكتار ، وازدادت الدخول وتعززت القوة العسكرية ، على ان ذلك لم يعجب المحافظين فتعرض لمقاومة عنيفة من قبل ملاك الاراضى وكبار الموظفين كما رفض تنفيذه بعض الموظفين المحليين ، ثم النى سى ما قوانغ (١٠١٩-١٠٨٥) القانون الجديد حين تولى رئاسة الوزارة .

الانتفاضات الفلاحية بقيادة فانغ لا وسونغ جنانغ

اجتاح فساد سلطة سونغ الحاكمة انحاء البلاد بعد الغاء القانون الجديد .
اضافة الى عيشة البذخ والترف التى عاشها رجال البلاط الماكى والوزراء فى ايام حكم الامبراطور هوى تسونغ الذى طال من ١١٠٠ - ١١٢٥ .
ذات مرة ارسل الامبراطور رسلا الى جنوب نهر اليانغتسى لجمع الازهار والصخور العجيبة كيما يبنى حديقة داخلية فى القصر . واذا وجد احد منهم فى دار عائلة شيئا مطلوبيا اختلطفه ولو هدم الجدران او الفرف لنقله الى العاصمة علاوة على نهب وسلب اموال السكان على يد الموظفين المحليين بحجة جمع المجائب حتى افلست العوائل المتوسطة وباعت العوائل الدنيا بناتها واولادها للحصول على ما يسد رمقها ، والى جانب ذلك فرضت الحكومة عليهم الضرائب المتعددة حتى ضاقت الحياة امام السكان : وفى مجتمع كهذا كان لا بد ان تتفجر الانتفاضات الفلاحية .

حدثت الانتفاضة الفلاحية بقيادة فانغ لا بولاية موتشو (محافظة جيانده ، تشجيانغ ، حاليا) عام ١١٥٠ ، وكان فانغ لا اجيرا لدى احد ملاك الاراضى .
عندما اغتصب ملاك الاراضى الصخور والازهار العجيبة لدى الرعاة احس الفلاحون بالقلق والاضطراب فهرب فانغ وامثاله من الفلاحين الفقراء الى الجبال .
ذات يوم ، حبسه ملاك الاراضى فى مستودع لكنه هرب بمساعدة الفلاحين .
وبعد قيامه بانتفاضة صبنقد وتنديدا على الطبقة الحاكمة التى مارست الاستغلال والاضطهاد وصالحت مملكتى لياو وشيا وشيا الغربية .. احتلت قوات الانتفاضة ست ولايات من اثنين وخمسين محافظة بمناطق تشجيانغ وآنهوى وجيانغشى كما قصت على الموظفين الفاسدين . وفى الحال ، حشدت

حكومة اسرة سونغ الحشود لقمع المتمردين فانسحبت قوات الانتفاضة الى المغائر
بسبب قلة الغلال والأسلحة ولكن قوات الانتفاضة عقدت العزم على القتال
الى آخر رجل .

ومع انتفاضة فالنغ لا في جنوب شرقي الصين حدثت انتفاضة فلاحية بقيادة
سونغ جيانغ واصدقائه وامتدت قوات الانتفاضة على امتداد خبي ، شاندونغ ،
خنان ، فالحقت ضربات قاصمة بجيش الحكومة ، ولكن انتهت الانتفاضة
الى الفشل بسبب القمع الدامي من الطبقة الحاكمة .

جين ، سونغ الجنوبية

قرع عرت قبيلة (موخه) الماء الاسود على امتداد سفوح جبل تشانغباي وأودية نهري هيلونغ وسونغها ثم تشكلت منها قومية نيويشن في القرن العاشر الميلادي . اعتاد اهل نيويشن الارتحال من مكان الى آخر طلبا للماء والكلأ وكانوا ينصبون الخيام من اغصان ولحاء البتولا على ضفاف النهر صيفا ويأوون الى الكهوف شتاء ، واضافة الى ذلك ، اشتهروا بالفروسية والرماية وصنع الأبواق من لحاء البتولا وقد استخدموها في اصدار اصوات لصيد الأيائل . هذا وكانت المعاملات التجارية جارية مع جيرانهم من القبائل فكانوا يبيعون لهم الخيول والصقور والذهب واللؤلؤ والجنسن والعسل والشمع ويتعاونون منهم ادوات حديدية وسلعا اخرى .

سقوط لياو وسونغ الشمالية على يد اسرة جين

نهضت قبيلة وانيان من اصل نيويشن في القرن الحادى عشر ، فبدأ ابناؤها عيشة حضرية وأجادوا الزراعة والسباكة والحداة ثم وحدوا سائر القبائل على مر الزمن . وفي اوائل القرن الثانى عشر ظهر آقودا من وانيان - رجل معروف بالشجاعة والدهاء - فعين زعيما لقومية نيويشن . وفي تلك الفترة كان حكام اسرة لياو (٩١٦ - ١١٢٥) يمدون مخالبيهم القاتلة الى نيويشن واجبروها على تقديم الاتاوات الثمينة مثل الصقور الصيادة وغيرها ، فهاهب آقودا بأخوانه الى مناهضة لياو ثم نصب نفسه ملكا لدولة جين عام ١١١٥ متخذاً من هوينينغ (جنوب محافظة آتشنغ ، مقاطعة هيلونغجيانغ ، حاليا) عاصمة لها . ومن الجدير بالذكر انه تم ابداع لغة نيويشن في بداية تأسيس هذه الدولة . انتهت اسرة لياو قبيل نهوض دولة جين او ما بعدها بقليل . وكان ملوك لياو يعيشون في بلخ وترف . وهبت الانتفاضات الشعبية على التوالى فشن الثوار هجمات على قوات لياو في كل مكان وقتلوا كثيرا من الموظفين الفاسدين . فاختتمت قوات جين الفرصة لتحتل مساحات شاسعة من الاراضى بينما صالحت

سونغ الشمالية احيانا بقصد توجيه رأس الرمح نحو لياو . وانتهى الأمر الى وقوع ملك لياو الاخير اسيرا بيد قوات جين ربيع عام ١١٢٥ ومن ثم طويت صفحة تاريخ اسرة لياو .

علمت اسرة جين عقب سقوط اسرة لياو ان اضطرابات داخلية نشبت في سونغ الشمالية (٩٦٠ - ١١٢٧) وعم الفساد ارجاء البلاد فشنت هجمات عنيفة من كل حذب وصوب ضد سونغ الشمالية ايام الشتاء من نفس السنة التي ابديت فيها دولة لياو . واستسلم بعض قواد سونغ المرابطون شمال النهر الاصفر لقوات جين والآخرين قد ولوا الادبار . وكان الامبراطور سونغ هوى تسونغ (١٠٨٢ - ١١٣٥) قلقا مضطربا فتنازل عن الحكم لابنه سونغ تشين تسونغ (١١٠٠ - ١١٦١) . فاقتربت قوات جين من عاصمة سونغ الشمالية (كايڤنغ ، مقاطعة خنان ، حاليا) بعد عبور النهر الاصفر ربيع عام ١١٢٦ . وقد احققت بالرهاة في الطرق المؤدية الى العاصمة اضراما باهظة في الارواح والاموال .

آنذاك انقسمت حكومة سونغ الشمالية الى فئتين ، الاولى استسلمت وعرضت اراضي شاسعة على حكام جين والثانية وهى جمع غفير من الجيش والشعب عزمت على الدفاع عنها واجبرت الامبراطور سونغ تشين تسونغ على تعيين لي قانغ (١٠٨٣ - ١١٤٠) رئيسا للوزارة الذى عقد عزمه على ان يقود الجيش والشعب للدفاع عن العاصمة وحمايتها وانهزم الغزاة في عدة معارك ، على ان الامبراطور تشين تسونغ قد بعث رسيلا لطلب الصلح مع الغزاة وعزل لي قانغ عن منصبه ارضاء لقوات جين . ولم يمض على ذلك الا عدة شهور حتى استولت قوات جين على عاصمة سونغ واختطفت قوات جين الامبراطورين سونغ هوى تسونغ وابنه سونغ تشين تسونغ ومن ثم طويت صفحة التاريخ عن اسرة سونغ الشمالية عام ١١٢٧ . جلس سونغ قاو تسونغ (١١٠٧ - ١٩٨٧) اخو سونغ تشين تسونغ على كرسى الحكم عام ١١٢٧ بولاية يينغتيان (جنوب محافظة شانغشىو ، مقاطعة خنان ، حاليا) ثم انتقل الى ولاية لينآن (مدينة هانغتشو ، مقاطعة تشجيانغ ، حاليا) جنوب نهر اليانغتسى مستقرا في العاصمة لينآن ، هذا وقد بدأ تاريخ اسرة سونغ الجنوبية (١١٢٧ - ١٢٧٩) .

عند ما تقدمت قوات جين الى اودية النهر الاصفر نهض ابناء الشعب هنالك لمجابهة عمليات القرصنة والقتل من قبل حكام جين ، فتشكلت جماعات

عسكرية من سكان مناطق خبي وشانشي نصبت خيامها على امتداد سفوح الجبال بجوار الانهار والبحيرات وانطلقوا منها الى شن هجمات عنيفة على قوات جين ، ومنها الجماعة المعروفة بجماعة المقاطع الثمانية التي كانت تشبها على وجوهها : « بالروح والدم نقتل الوطن ونجابه لصوص جين » وعلى رأسها وانغ يان (١٠٩٠ - ١١٣٩) وجمعت مائة الف نسمة انتشرت على امتداد سفوح جبال تايهانغ بين شانشي وخبي ، وكلما دب النشاط فيها نهضت فئة اخرى تعلن تأييدها . وشكلت تهديدات خطيرة لقوات جين حتى ان سلطة جين الحاكمة لم تعرف الاستقرار في وسط الصين سنين طويلا مما جعل قواتها تتردد في التقدم الى الجنوب . هذا وقد استمرت الحروب بين تلك الجماعات العسكرية بشمال الصين وبين قوات جين حوالي مائة سنة .

يويه في ومقاومة جين

اتجه جيش جين الى الجنوب عدة مرات في اوائل اسرة سونغ الجنوبية ، فلما عبر نهر اليانغتسي عام ١١٢٩ أخذ الخوف بالامبراطور سونغ قاو تسونج الذي اسرع في الهرب الى منطقة تشجيانغ الساحلية حتى نزل بسفينة راسية في البحر . وأثناء نهض القواد العسكريين في اسرة سونغ الجنوبية ومنهم يويه في (١١٠٣ - ١١٤٢) وهان شي تشونغ (١٠٨٩ - ١١٥١) وامثالهما لقيادة جيوش الى الشمال لمجابهة قوات جين تدعمهم فصائل ابناء الشعب ضد قوات جين . وكانت جيوش سونغ تحارب قوات جين بالتعاون مع الجماعات العسكرية المنتشرة في الشمال واستمدات الاراضي المحتلة . ويذكر انه اطلق على الجيش بقيادة يويه في اسم « جيش عائلة يويه » ، وهو الذي اشتهر ببراعة الانضباط العسكري والسلوك الحسن وقد وصفه الناس : « لا ينهب ولا يخرب ولو مات افراده جوعا وبردا . » وكان الجنود شجعانا اوقعوا في نفوس قوات جين المخاوف كما شاع بين جنود جين آنذاك قول : « ازالة الجبل اسهل وايسر من اباداة جيش عائلة يويه » .

دخل يويه في على رأس الجيش مدينة يانتشنغ (محافظة يانتشنغ ، مقاطعة خنان ، حاليا) عام ١١٤٠ بينما اقترب منها وو تشو قائد جين العسكري

وفرسائه فجرى القتال بين الطرفين وانهزمت قوات جين فولت الادبار فاغتنم يويه تلك الفرصة يشجع جنوده على اللحاق بالمهزومين قائلا : « لنصل الى وكر جين عندئذ نعب ايها الابطال اقداحا من الخمر » . فنشطت الجماعات العسكرية في شمال الصين نشاطا جديا وقطعت خطوط المواصلات المؤدية الى مراكز قوات جين مما أدى الى تردد وو تشو في القتال .

استعدت قوات جين للانسحاب من مدينة كايفنغ نتيجة الضربات المتتالية من جيش يويه في ، على ان المستسلمين برئاسة الامبراطور سونغ قاو تسونغ ورئيس الوزارة تشين هوى عملا على خلاف رغبات الشعب خوفا من انتصار جماعة العساكر وخاصة من القوى الشعبية المسلحة التي ستخلق للحكم تهديدات خطيرة اذا ترعرعت عبر عمليات القتال ضد قوات جين . فتآمر قاو تسونغ بالتواطؤ مع رئيس وزرائه لمصالحة مملكة جين وارسل الى يويه في ١٢ لوحة ذهبية طالبا منه ان ينسحب بقواته من جبهة القتال ، وعندما وصلت يويه في اوامر الامبراطور عبر عن الحزن والألم قائلا : « تبخرت منجزات عشر سنوات في لحظة . » وغمرت الجنود والرعاة مشاعر الحزن والألم ، فمادت جين الى امكنة عديدة بعد انسحاب جيش يويه في . وذهب قاو تسونغ وتشين هوى الى حد عزل يويه في من منصبه عام ١١٤١ ، واعتقله ووضعه في السجن ، وفي العام التالي قتل يويه في بتهمة مجهولة . وكان ولا يزال الشعب يحترم يويه لمآثره الحسنة المتجسدة في مقاومة قوات جين .

عقد الصلح بين سونغ الجنوبية وبين جين عام ١١٤١ وقامت الهدنة بينهما . فنادى ملك الاولى نفسه وزيرا امام ملك جين كما تنازل لاسرة جين عن سيادة الاراضى من نهر هوايشوى شرقا الى القلعة الكبرى غربا (جنوب غربى باوجى ، مقاطعة شنشى ، حاليا) ، وعرضت ٢٥٠ الف اوقية من الفضة و ٢٥٠ الف بى من الحرائر سنويا .

انتفاضات فلاحية بقيادة تشونغ شيانغ ويانغ ياو

كان حكام سونغ الجنوبية قد استسلموا لاسرة جين ، هذا من جهة ، ومن جهة اخرى ، فرضوا على الرعاة الجبايا والضرائب بحجة مقاومتها . وعلى سبيل المثال ، فرضت الايجارات على من لا يملك ولو غرفة واحدة والضرائب

على الافراد على عائلة حتى من لا فتى لديها . ورغم ذلك اغتتم الضباط والجنود المائدون من جبهة القتال الفرصة لاقترااف الجرائم الفاحشة من النهب والحرق واهانة النساء فعاش الشعب في عهد اسرة سونغ الجنوبية عيشة بائسة لاتطاق فثارت الانتفاضات الشعبية منها انتفاضة كبرى واسعة النطاق بقيادة تشونغ شيانغ (١١٣٠ - ١١٣٥) و يانغ ياو (١١٣٥ - ١١٣٥) .

قام تشونغ شيانغ بالانتفاضة المسلحة على حافة بحيرة دونغتينغ ، في اواخر سونغ الشمالية ، رافعا شعار : « المساواة بين الاعلى والادنى وبين الغنى والفقير » بعد شعار « المساواة بين الغنى والفقير » الذى رفعه وانغ شياو بوه ولى شون . وقال : « لن يكون القانون جيدا اذا ما دعا الى التفريق بين الثيلاء والعامه وبين الغنى والفقير ، ولو كنت مشرع القانون لدعوت الى تطبيق المساواة بين الاعلى والادنى وبين الغنى والفقير . » هذا وقد جسد شعاره وغبات الفلاحين في المساواة السياسية والاقتصادية ، رافعا روح الفلاحين الممنوية كما شجع الفقراء بجوار البحيرة على الانضمام الى زعيمهم القائد تشونغ شيانغ .

وقعت الانتفاضة الفلاحية بقيادة تشونغ شيانغ ربيع عام ١١٣٠ واستت السلطة الفلاحية واستت الدولة « تشو الكبرى » ، بعد ان احتلت قوات الانتفاضة الفلاحية مساحات شاسعة تضم ١٩ محافظة قرب بحيرة دونغتينغ في عدة ايام بعد الانتفاضة ، واعلنت : يعفى من جميع الضرائب والجبايا من انضم الى الانتفاضة دون الالتزام بقانون سونغ الجنوبية

وبعد مدة قصيرة وقع تشونغ شيانغ اسيرا في احدى المعارك واستشهد ثم اصبحت قوات الانتفاضة الشعبية تحت قيادة الزعيم يانغ ياو وواصلت الكفاح ضد حكام سونغ الجنوبية ، فارسلت حكومة سونغ الجنوبية يويه في على رأس الجيش لقمع التمردين فوقع يانغ ياو اسيرا بيد الجيش الحكوى فاستشهد مظهر البطولة والاباء .

حالة الاقتصاد في عهد اسرة سونغ الجنوبية

وجه الشعب ضربات ساحقة ضد اسرة سونغ الجنوبية بينما حال دون تقدم الى الجنوب مما دفع الاقتصاد في الجنوب التطور . والجدير بالذكر ان الاقتصاد

في الجنوب شهد تطوراً ملحوظاً بفضل هجرة السكان من الشمال الى الجنوب هروبا من الحروب البعثية .

زادت مساحات الحقول المروية في عهد اسرة سونغ الجنوبية وكذلك اتسعت مساحات الارز المنزرعة فازدادت المنتجات الزراعية وتم حصاد الرز مرتين سنوياً على امتداد على اودية بحيرة تايهو والمجرى الاسفل لنهر اليانغتسي واحتلت سوتشو وهوتشو (ووشينغ ، حالياً) مكاناً رئيسياً في انتاج الارز . آنذاك راجت في انحاء البلاد كلمات : « ارز سوتشو وهوتشو يكفى الدنيا . » ثم انتشرت زراعة القطن من قوانغدونغ وفوجيان الى اودية نهر اليانغتسي .

وشهدت الحرف اليدوية ازدهاراً نسبياً في عهد اسرة سونغ الجنوبية وكذلك تقدمت الى الامام فنون الغزل والنسيج وصناعة السفن وغيرها .

واصبحت صناعة الغزل والنسيج القطني حرفة جانبية في الارياض المنتجة القطن . وأثناء ابدعت سلسلة من ادوات معالجة القطن . وقبل عدة سنوات استخرج من احد القبور لاسرة سونغ الجنوبية بمحافظة لانشى ، مقاطعة تشجيانغ ، بساط قطني سميك في غاية الدق ويدل الوبر على ان صناعة الغزل والنسيج القطني بلغت مستوى عالياً في ذلك العهد . .

وازدهرت صناعة السفن على سواحل البحر والأنهار اذ ورد في الكتب التاريخية ان الصناع تمكنوا من صناعة سفن متعددة الاصناف منها صنف كبير الحجم يحمل ٥٠٠ - ٦٠٠ شخص ويمخر عباب البحار وصنف صغير الحجم يحمل مائتين او ثلاثمائة شخص ، كما ركبت الابرة المغنطيسية في كل سفينة . واستخرج مركب من قاع البحر قرب مرفأ هوجو في خليج تشيوانتشو عام ١٩٧٣ ، بدنه بطول ٢٤ متراً او اكثر وحمولته ٢٠٠ طن وقدر الأثريون بأنه تمت صناعته في عهد اسرة سونغ الجنوبية وبدا تركيبه متيناً نسبياً يصمد للامواج الهائجة . وشهدت التجارة البحرية تطوراً عظيماً في عهد اسرة سونغ الجنوبية ونشطت عدة موانئ رئيسية آنذاك مثل قوانغتشو وتشيوانتشو ولينغبو . وبقيت آثار الميناء وعناصر السفن قرب تشيوانتشو حتى يومنا هذا بالاضافة الى ذلك المسجد الاسلامي واضرحة الغرباء من العرب والفرس وغيرهم والشواهد الحجرية التي نقشت عليها كتابات تشير الى العلاقات بين الصين والبلدان الاجنبية ، وان

دلت هذه على شئ " فائما تدل على ازدهار المواصلات البحرية والتجارة الخارجية في تشيوانتشو في ذلك العهد . وفي ذات الوقت امتدت التجارة الخارجية الى اليابان وكوريا شرقا وإلى غرب آسيا والبلدان الافريقية بينما تعززت التبادلات الاقتصادية الودية بين الصين والبلدان الاجنبية . وفي الآونة الأخيرة اكتشفت الأواني والرقائق الخزفية لأسرة سونغ في اليابان ، الملايو ، اندونيسيا ، باكستان ، سيريلانكا ، آسيا الغربية وافريقيا .

الثقافة فى عهد اسرتى سونغ الشمالية والجنوبية

ازدادت العلاقات الاقتصادية فيما بين مختلف القوميات الصينية فى الفترة ما بين القرن العاشر والثالث عشر وازدهرت الحرف اليدوية والتجارة وخاصة الاقتصاد فى المدن اكثر من السابق وبالتالي تقدمت الثقافة والعلوم التقنية الى الامام تقدما نسبيا .

ثلاثة اختراعات عظمية

اخترع الكادحون الصينيون القدماء الطباعة والبوصلة والبارود التى نمت وتطورت فى عهد اسرة سونغ (٩٦٠ - ١٢٧٩) . وفى ذلك الوقت ، طبعت الكتب بالنحوت على الخشب وكانت الكتابة انيقة والتجليد رائعا على ان تلك الطريقة حملت معها بعض العيوب اذ لا بد لكل صفحة من الكتاب من قطعة خشبية منحوتة ، وعلى سبيل المثال كان النحات تشانغ توشين فى عهد اول اباطرة سونغ ، تاي تسو (٩٢٧ - ٩٧٦) قد اخرج المحاورات الهوذية ، ٥٠٤٨ جزءا ، بعد النحت على ١٣٠ الف قطعة خشبية وقد استغرق فى ذلك العمل ١٣ سنة ثم ابدع بى شى شى (٩ - ١٠٥١) فن الطباعة بالحروف المتحركة فى منتصف القرن الحادى عشر . فى البداية ، استخرج الطفل الطينى واستعمله فى صناعة قطع صغيرة مربعة ونحتت كلمات هائية واحدة تلو الاخرى على كل قطعة ثم وضعت فى الفرن لشيها حتى تتحول الى قطع فخارية . تمكن العامل من تفكيك الحروف الفخارية بعد اتمام طبع الكتاب بها ثم استعمالها فى طبع الصفحات التالية . . . لذا اسماى الناس الحروف الفخارية حروفا متحركة . هذا وقد فتح فن الطباعة بالحروف المتحركة صفحة جديدة فى تاريخ الطباعة العالمى . ثم ظهرت الطباعة بالحروف الخشبية والقصديرية فى الفترة ما بين القرنين الثالث عشر والرابع عشر فى عهد اسرة يوان (١٢٧١ - ١٣٦٨) .

وربما نقل فن الطباعة بالحروف المتحركة من الصين الى كوريا واليابان ومصر حتى اوربا بعد القرن الرابع عشر ، فساهم مساهمات عظيمة في تطوير الثقافة والحضارة في العالم .

كشفت الكادحون القدماء الصينيون في عهود الدوليات المتحاربة (٤٧٥ ق م - ٢٢١ ق م) عن خواص الابرّة المغنطيسية فابعدوا نوعا من المقاييس على اساس تلك الخواص لتحديد الجهات الاربع واسموا « المتجه الى الجنوب » ، وهو عبارة عن قطعة مغنطيسية على شكل مغرفة وقرص نحاسي نقشت عليه مواقع الجهات . ولو دفع المرء المغرفة لدارت على القرص فاذا وقفت عن الدوران استقر مقبض المغرفة على موقع الجنوب . بدأ الناس في عهد اسرة سونغ الشمالية يستعملون الابرّة المغنطيسية في تحديد الجنوب ، وفي بادىء الامر ، وضعت الابرّة المغنطيسية على طرف الكأس ثم ركبت على قرص البوصلة حتى تم صنع البوصلة المسماة بالابرّة المتجهة الى الجنوب والملقبة بالابرّة ذات القرص ، وقد استعملت في الملاحة . فتنقلت السفن الصينية المجهزة بالبوصلة دوما بين الصين وبين آسيا الجنوبية والهند للتجارة كما ان العرب والفرس الذين استقلوا السفن الصينية حاملين التجارة الى مختلف البلدان اتقنوا استعمال البوصلة . هذا وقد دفعت البوصلة الملاحة في العالم الى التقدم والتطور .

اخترع البارود على يد صناع العقاقير المستقطرة منذ قديم الزمان * فكان عالم الطب سون سي ماو (٥٨١ - ٦٨٢) في عهد اسرة تانغ (٦١٨ - ٩٠٧) هو اول من دون في مذكراته طريقة صناعة البارود من ثمرات البوتاسيوم والكبريت والفحم النباتي وبعد ذلك استعمل البارود في الحرب في اواخر اسرة تانغ ثم اقامت حكومة سونغ الشمالية بدورها معامل البارود لمواجهة ممالك لياو وشيا الغربية وجين ، وآنداك ، ظهرت اصناف مختلفة من الاسلحة الحربية مثل الرشاشات والسهام النارية والمدافع النارية وما الى ذلك . ثم نقل البارود الى اوربا على يد العرب في عهد اسرة يوان .

العلامة شن كوه

عاش العلامة الشهير شن كوه (١٠٣١ - ١٠٩٥) في عهد اسرة سونغ الشمالية . كان أبوه موظفا في الحكومة المحلية . وعندما اشتغل مساعدا لرئيس

محافضة شويانغ ، جيانغسو ، جمع الحشود لتشييد منشآت الري وحفر القنوات وتزيم السدود ، مما ادى الى تطوير الزراعة هناك . ولقد رأى بألم عينيه الفساد يعم البلاد والمجز يسود البلاط الملكى فاشترك فى الاصلاح الاجتماعى برئاسة وانغ آن شى (١٠٢١ - ١٠٨٦) . وعندما عزل عن منصبه فى شيخوخته استقر فى حديقة مونغشى (ضاحية تشيجيانغ الشرقية بمقاطعة جيانغسو ، حاليا) واشتغل بتأليف الكتب ونشر العلوم حتى اتم تصنيف كتاب على شكل مذكرات واسماه : « القلم فى حديقة مونغشى » والكتاب مواضيعه تتعلق بالسياسة والاقتصاد والثقافة والحرب والعلوم والفنون وغيرها ، ودون فيه ما احرز من المنجزات العلمية فى المجهود المنصوبة وخاصة عهد اسرة سونغ الشمالية . كما ذكر فيه درايته بالعلوم والفنون . واطافة الى ذلك ابداع التقويم السنوى ، تقسيم السنة الى ١٢ موسما ، متخذاً من اول ايام الربيع رأس السنة الجديدة ، والسنة فى رأيه تنقسم الى ١٢ شهرا من ٣٦٥ يوما ، شهر ٣٠ يوما وآخر ٣١ يوما . الخ ، والتقويم يلائم المواسم الزراعية . وقيل انه ظهر فى بريطانيا ما يشابه تقويم شن كوه بعد مضى ٨٠٠ سنة عليه . ولما تحدث شن كوه عن البوصلة قال : البوصلة تقدر على توجيه رأسها الى الجنوب على انها تميل دوما الى الشرق قليلا . وتدل كلماته على انه سبق الاوربيين بحوالى خمسة قرون فى معرفة انحراف المغنطيسية الارضية . لذا يعتبر كتاب « القلم فى حديقة مونغشى » تحفة قيمة من تحف العلوم المتطورة فى الصين .

تسى تشى تونغ جيان

اخرج «تسى تشى تونغ جيان» - كتاب «الموسوعة التاريخية» على يدسى ما قوانغ فى عهد اسرة سونغ الشمالية (١٠١٩ - ١٠٨٦) وهو اشهر الكتب التاريخية ، تم تأليفه حسب الحوادث التاريخية وقد استغرق ١٩ سنة ، يصف الحوادث التاريخية التى امتدت من عهد الدويلات المتحاربة الى عهد الاسر الخمس (٤٠٣ ق . م - ٩٥٩ م) ، ويضم ٢٩٤ جزءا جمع فيما دراسات وخبرات هامة زودت اجيالا عديدة من الحكام بما احتاجوا اليه عند مزاوله النشاطات السياسية ، لذا سمى الكتاب : «تسى تشى تونغ جيان» اى ما يرجع اليه الحكام المشتغلون بالنشاطات السياسية . والكتاب موضوعاته واسعة وغنى

بالمعلومات التاريخية في اسلوب جزل في غاية الوضوح . وبين دفتيه معلومات هامة يرجع اليها الباحثون في تاريخ الصين القديم . - . وازافة الى ذلك ، اتم المؤلف تصنيف ٣٠ فصلا من فهارس الموسوعة التاريخية .

الأدباء

انتشرت اشعار شعبية جديدة الاسلوب في مرحلة تطور الاعمال الادبية المتوارثة من اسرة تانغ ، وعباراتها طويلة ، او قصيرة تصلح للقراءة والغناء . ثم تطورت في عهد الاسر الخمس حتى تحوات الى ضرب جديد من الشعر في عهد اسرتى سونغ الشمالية والجنوبية وظهرت في عهد اسرتى سونغ جماعة من الأدباء البارزين :

سو شى (١٠٣٧ - ١١٠١) لقبه دولنج بوه ، ولد في جبل ميشان ، بمنطقة سيتشوان ، وقد ساهم مساهمات فذة في تطوير الشعر مركزا على توسيع مواضيعه والتعبير عن المشاعر الجياشة . فاصبحت النصوص الأدبية قوية مؤثرة متحررة من القيود بل تركت تأثيرات كبرى على الاجيال المتعاقبة . هذا وقد ابدع سو شى ضروبا هائلة جميلة من الشعر والنثر .

شين تشى جى (١١٤٠ - ١٢٠٧) لقبه جيا شيوان ، مولود في جينان ، منطقة شاندونج ، وقت المواجهة بين سونغ الجنوبية ومملكة جين . التحق بجيش الانقياضة ضد الغزاة من اسرة جين شمال الصين منذ ريعان شبابه ثم انتقل الى جنوب الصين وعرض على حكومة سونغ الجنوبية خطلها في كيفية استعادة الاراضى المحتلة غير مرة على ان اقتراحاته لم تلق آذانا صاغية . واعماله الأدبية مفعمة بمشاعر الكفاح ضد الاضطهاد القومى هى التى طورت اسلوب الشاعر سو شى في قرض الشعر ، وكلماته صافية وحيوية وترك لنا تراثا ادبيا قيما من ٦٠٠ نص ادبى .

لويو (١١٢٥ - ١٢١٠) شاعر وأديب شهير في عهد اسرة سونغ الجنوبية ، غادر مسقط رأسه في شمال الصين بصحبة افراد عائلته هربا من مآسى الحروب عاش عيشة متشردة فرزعت في قلبه افكار الحزن على الوطن والرعاة . شاع صيته في نظم الشعر وسنه ١٧ سنة ، وهاجت في شعره امواج البحار مفعمة بالمشاعر

والعواطف واشتاق الى توحيد الوطن شماله وجنوبه وقت المواجهة بين اسرة سونغ وبين مملكة جين ووضح عن آماله في « قصيدة الى ولدى » التي يقول فيها :

يعلم الانسان ان الدنيا فانية بعد الوفاة ،
لايحن لغير علم الوحدة يرفرف في السماء ،
لا تنس ان تخبرني يوم يستولى جيش الامبراطور على وسط الصين
وتطلب من المولى النفرا ن الى . »

هذا وقد كانت القصيدة عملا رائعا انتقل بين الاجيال .

لى تشينغ تشاو (١٠٨١ - ؟) اديبة شهيرة في عهد اسرة سونغ الجنوبية ، مولودة في جينان ، بمنطقة شانغونغ . تعلمت على يد ابيها منذ صغرها وتعمقت في الثقافة ، ثم عاشت ميسورة بعد زواجها . وتزخر اعمالها الادبية بالهدوء والنبات بينما انجست منها مشاعر الحب الشغوفة بالطبيعة . وعندما شنت قوات جين الهجمات في اواخر اواخر عهد سونغ الشمالية وقع موطن رأسها جينان بيد الغزاة من اسرة جين فهربت هي وزوجها الى جنوب نهر اليانغتسى فمات زوجها في الطريق . فلما تقدمت بها السن عاشت حزينة . لذا نجد ان اعمالها المتأخرة تعبر عن الحزن ومفارقة الاقرباء والاهتمام بسلامة الوطن . تركت لنا اكثر من عشر قصائد تحتل جزءا زهيدا من مجموع اعمالها على انها تساعدنا في تحديد المنجزات التي احرزتها في ابداع الاعمال الأدبية .

« كان عبدة الاصنام في قديم الزمان يلبون رغبات الاباطرة في المخلود بصناعة العقاقير من نترات البوتاسيوم والكبريت وغيرهما بهدف « اعادة الشباب » .

الوحدة والاقتصاد فى عهد أسرة يوان

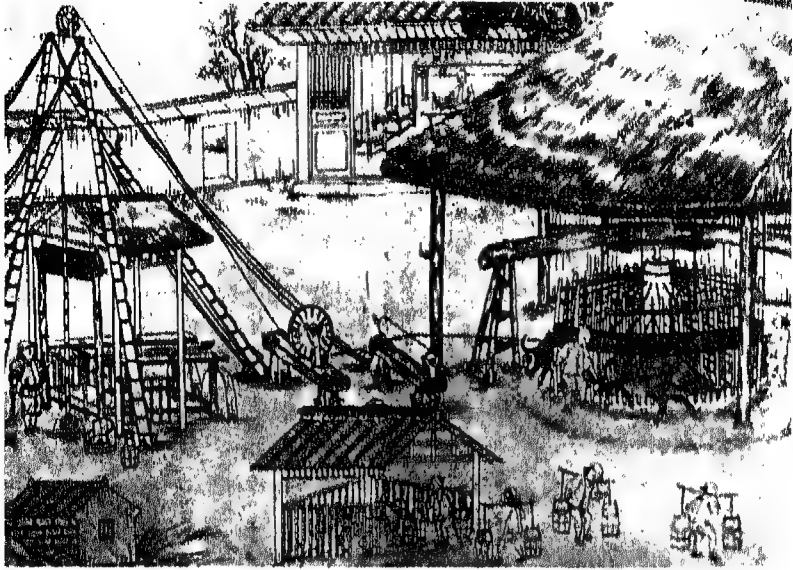
استوطنت فى حدود الصين الشمالية قومية قديمة من الأقليات القومية الصينية هى قومية المغول التى تنتسب الى قبيلة شىوى المنولية من اصل شىوى ، وعاشت شرق نهر آرغونة ، منذ اجيال بعيدة واخذت تنتشر فى هضبة منوليا .

ترعرع قومية المغول

كانت قبائل المغول كثيرة العدد وعاشت متنقلة على الرعى كما امتاز ابنائها بالفروسية ورعى السهام .
كان المغول فى القرن الثانى عشر فى مرحلة المجتمع العبودى ، واستحوذ النبلاء منهم على اعداد كبيرة من المواشى والعبيد الذين سخروا لخدمة موااليهم فى تربية المواشى وحلبها وجز الصوف والدباغة ونسج البسط . وقامت بين قومية المغول وبين القوميات المجاورة علاقات اقتصادية ، فمثلا ، كانت تزود قومية هان بالمنتجات مثل الخيول والصوف والفراء فى مقابل المنسوجات والادوات الحديدية .

هذا وقد دارت الحروب بين رؤساء القبائل بهدف نهب الاموال والآنفس . وعبر الحروب المتتالية فيما بين القبائل خرجت قبيلة قوية فى وادى نهر اونان تزعمها تيموجن وهو رجل فذ عمل على توحيد افراد القبيلة والذين لجأوا وشكل قوات عسكرية هزم بها القبائل المجاورة واحدة فواحدة حتى وحد البغول ثم التقى زعماء القبائل قرب منبع نهر اونان عام ١٢٠٦ وانتخبوا تيموجن اعظم خان للقبائل واسموه جنكيزخان فتولى القيادة فى ١٢٠٦ - ١٢٢٧ وارسى

اسرة سونغ



استخراج الملح الطبيعي من البئر في عهد اسرة سونغ . والصورة توضح
اخراج الملح الطبيعي عبر الأنابيب الحديدية في منطقة سيتشوان



سرج مطلي بالذهب
والفضة في عهد اسرة لياو

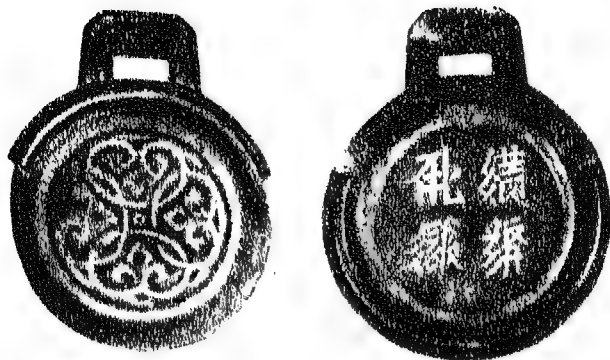


سكة المحراث من ايام اسرة سونغ .
اكتشفت في مدينة لويانغ من مقاطعة خنان



جزء من لوحة فنية بعنوان : « على ضفاف النهر في عيد تشينغ مينغ » انتجها
تشانغ تسى دوان الرسام الشهير في عهد أسرة سونغ





نحت على لوحة برونزية بلغة شيا الغربية

غطاء صندوق مكتظ بخطابات الرثاء وعليه كتابات بلغة كيتان .
استخرج من قبر لياو شونغ تسونغ في محافظة لينشى . منطقة منغوليا
الداخلية الدالية الحكم

𐰃𐰆𐰪𐰆𐰪𐰆𐰪
𐰃𐰆𐰪𐰆𐰪𐰆𐰪
𐰃𐰆𐰪𐰆𐰪𐰆𐰪
𐰃𐰆𐰪𐰆𐰪𐰆𐰪



قاعدة حجرية للتمثال في عهد اسرة شيا الغربية استخرجت من مقبرة الملوك
لاسرة شيا الغربية في جبل خهلان بمنطقة ليندشيا الحكم القومية هوى . عام
١٩٧٧



عملة نحاسية متداولة في ايام الامبراطور وى تسونغ لاسرة
سونغ (الى اليسار) . وعملة نحاسية متداولة في الايام
المزدهرة لاسرة شيا الغربية



تمثالان خورفيان لخادمين استخرجتا من طاحية مدينة جينغده . مقاطعة
جيانغشى عام ١٩٦٦



الامبراطور تاي تشونغ لاسرة سونغ



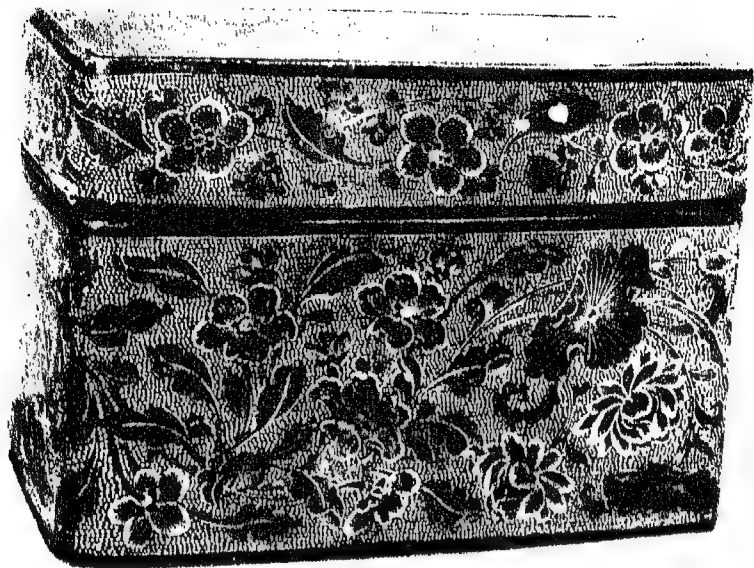
وانغ آن شى



تمثال يريه في البطل القومي المشهور



لا زعيم الانتفاضة الفلاحية في عهد أسرة سونغ



علبة لك مستطيلة دقيقة الخطوط مرصعة بالذهب لاسرة سونغ الجنوبية .
استخرجت من محافظة ووجين ، مقاطعة جيانغسو

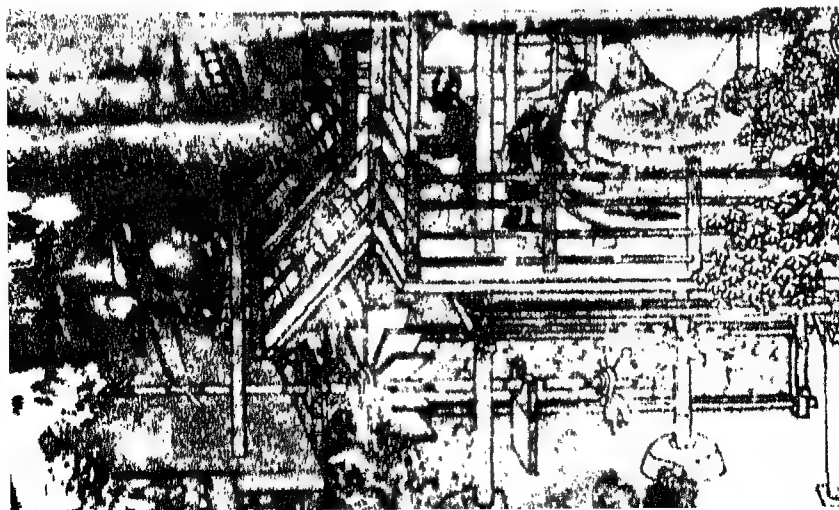


مروحة لك مستديرة مقبضها
مخوف ، استخرجت من
ضريح تشو يوى من اسرة
سونغ الجنوبية ، والذي يقع
في محافظة جيننان ، مقاطعة
جيانغسو



لوبي اصفر من
الكريشة مطرز ومموه
بالذهب ، استخرج
من قبر هوانغ شينغ
من سونغ الجنوبية
قرب مدينة فوتشو

جدارية لاسرة جين في معبد يانشانغ بمحافظة لانتشي ، مقاطعة شانشي ، في
الحداد الشرق صورة للطاحون



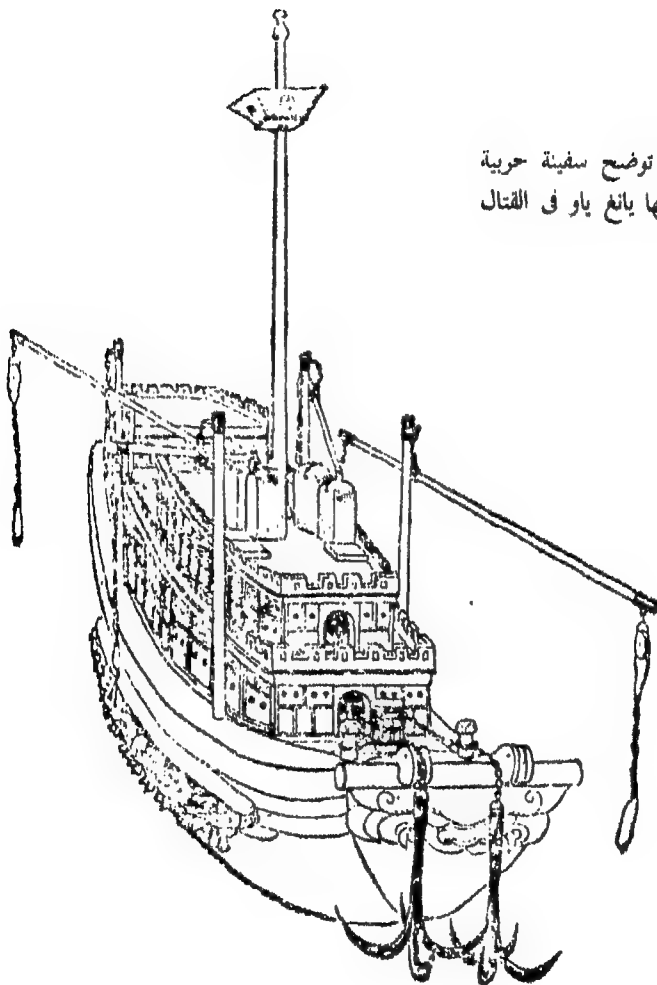


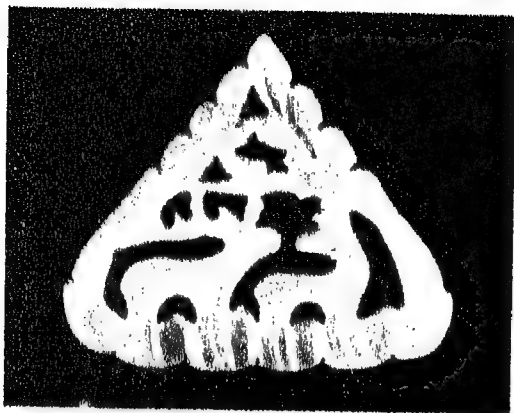
صورة لأمير في الطراد .. في الجدار الغربى



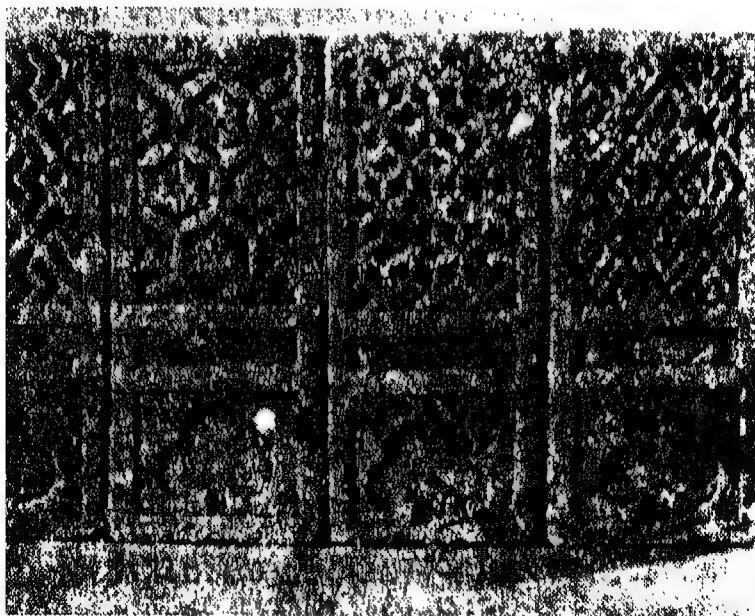
صورة منقولة من الجدارية في الجدار الغربى

الصرورة توضح سفينة حربية
استخدمها يانغ ياو في القتال





زينة يشمية منقوش عليها النان من الايائل . استخرجت
من احد القبور لاسرة جين . بمقاطعة هيلونغجيانغ



نحوت على الحجر . مصاريع ابواب . في الجدار الغربى باحد القبور لاسر
جين . استخرجت من كومولة شياو دونغ . بمحافظة ووتشى . مقاطعة خننا

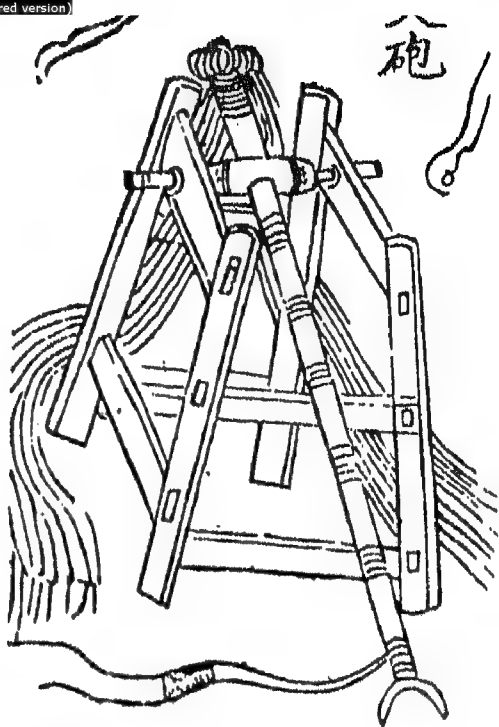


شنكه العالم المشهور في اسرة سولج الشمالية



تمثال بي شنگ مخترع فن الطباعة بالحروف المتحركة

منجنیق استعمال
فی القسطنطین
الناریة فی عهد
اسرة سولخ



قرص الابرّة المقتطبة



شين تشى جى



سى ما قوانغ

لى تشينغ تشاو
الشاعرة فى عهد اسرة
سونغ الجنوبية



اسرة يوان



صوره جيڪي خان



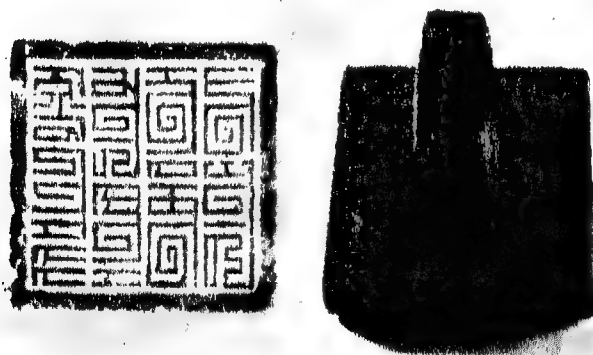
مبخرة مصنوعة في قرن تشون . استخرجت من قرية الباغودا
البهضاء قرب مدينة هوهيوت . بمنطقة منغوليا الداخلية الذاتية الحكم

قوات الانتفاضة الفلاحية بقيادة
ليو لونغ تحتل بيانليانغ

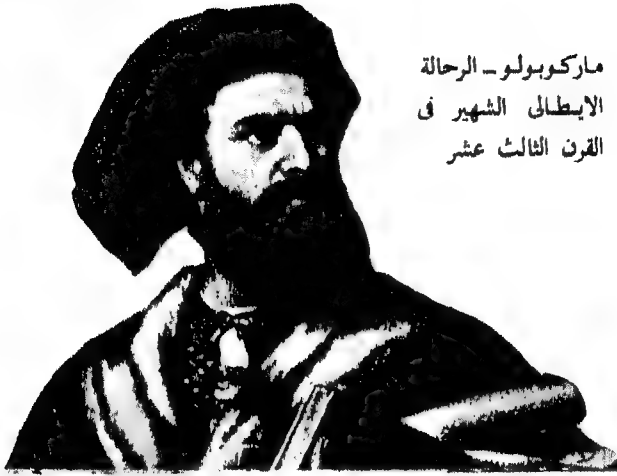




صك البيع للفلاحين في عهد أسرة يوان



حكم سلطان محل . . يرجع تاريخه الى ايام أسرة يوان . . استخرج في محافظة
 آ تشينغ بمقاطعة هيلونغجيانغ . . هو شاهد هام على ان قومية شوييدا جزء
 لا يتجزأ من أسرة الامة الصينية منذ ايام أسرة يوان (١٢٠٦ - ١٣٦٨)



ماركوبولو - الرحالة
الايطالى الشهير فى
القرن الثالث عشر

آلة حراثة قديمة ، الصورة من « كتاب
الزراعة » ، تأليف وانغ تشن فى اسرة
يوان

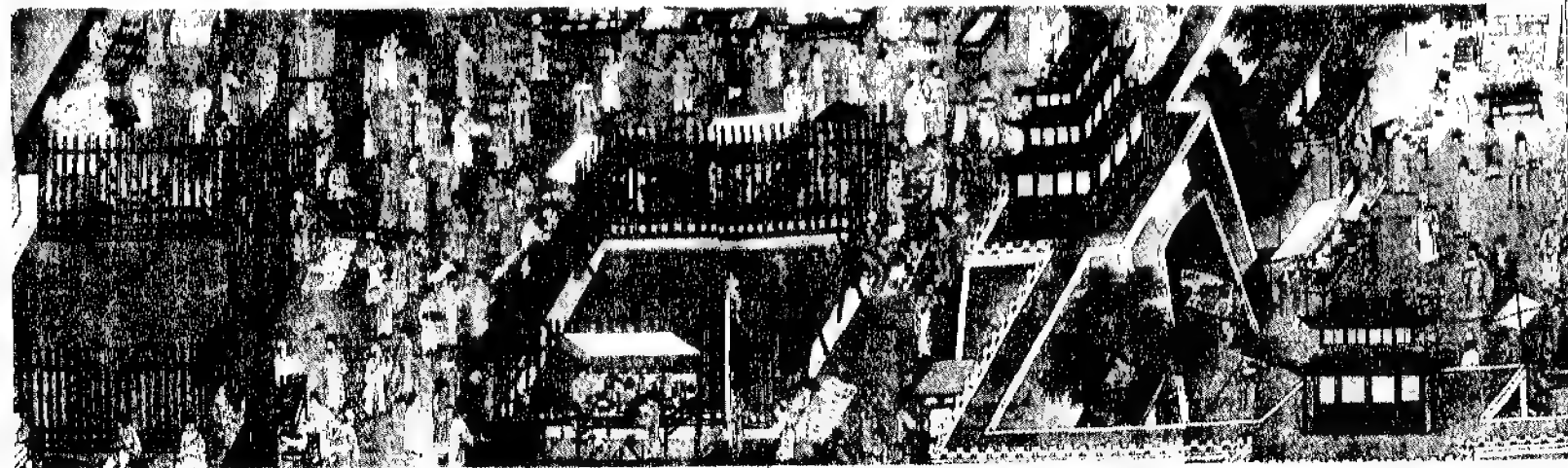
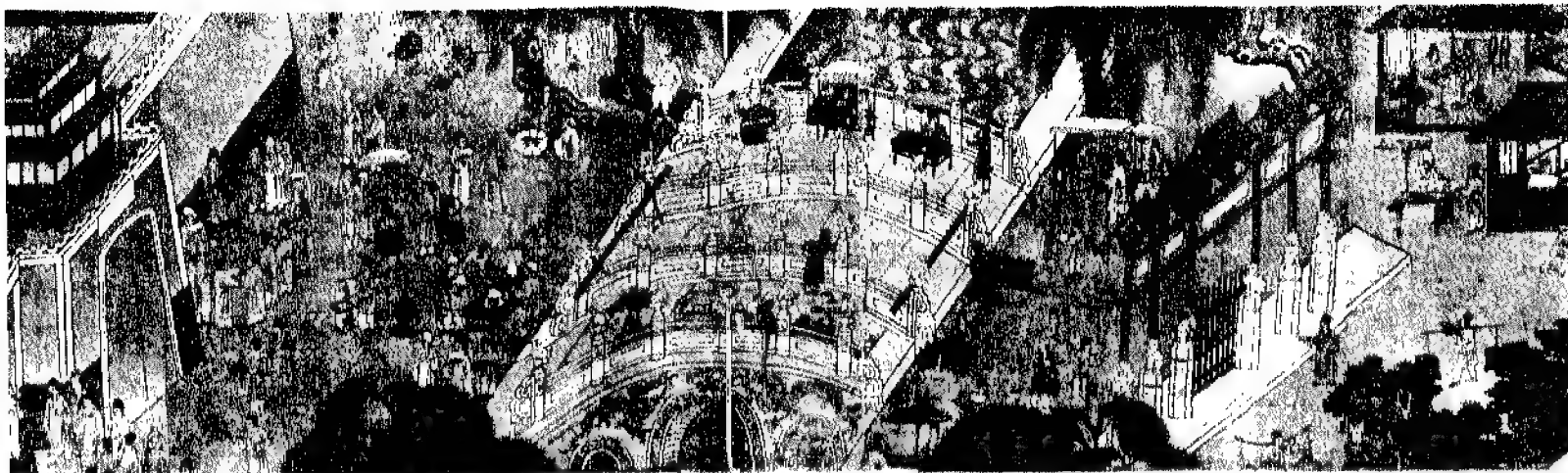


قوه شيو تشنغ مهندس الرى
فى اسرة يوان

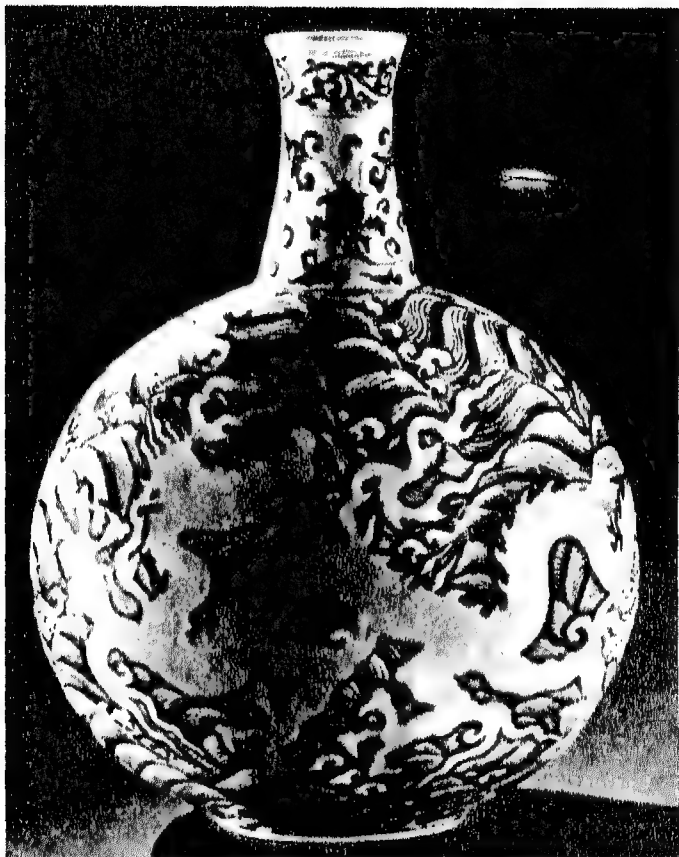


قوان هان تشينغ المؤلف المسرحى فى اسرة يوان

اسرة مينغ

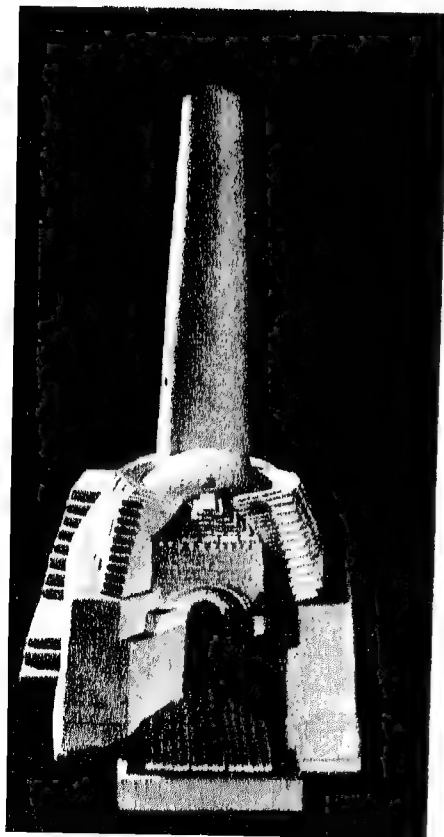


(أ ب ت) - جزء من صورة «الأثار المذهرة الجامعة في العاصمة
الامبراطورية». في عهد اسرة مينغ

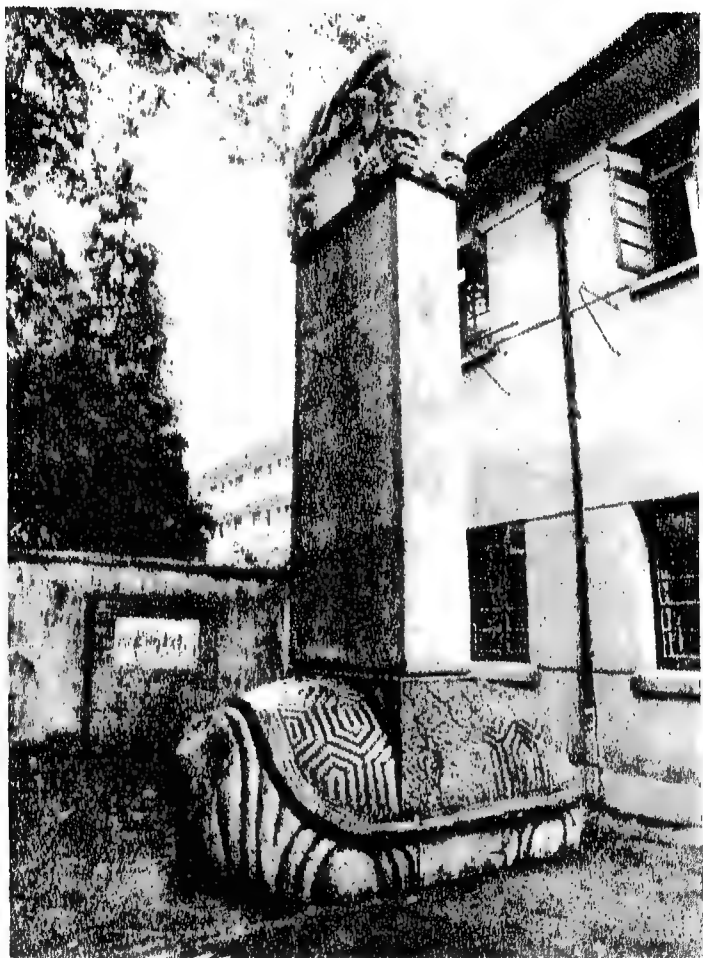


قارورة زرقاء ملونة ، تم صنعها في عهد شيوان ده ، من فن الخزفيات
الحكومي ببلدة جينغده ، مقاطعة جيانغشى ، في اوائل عهد اسرة مينغ

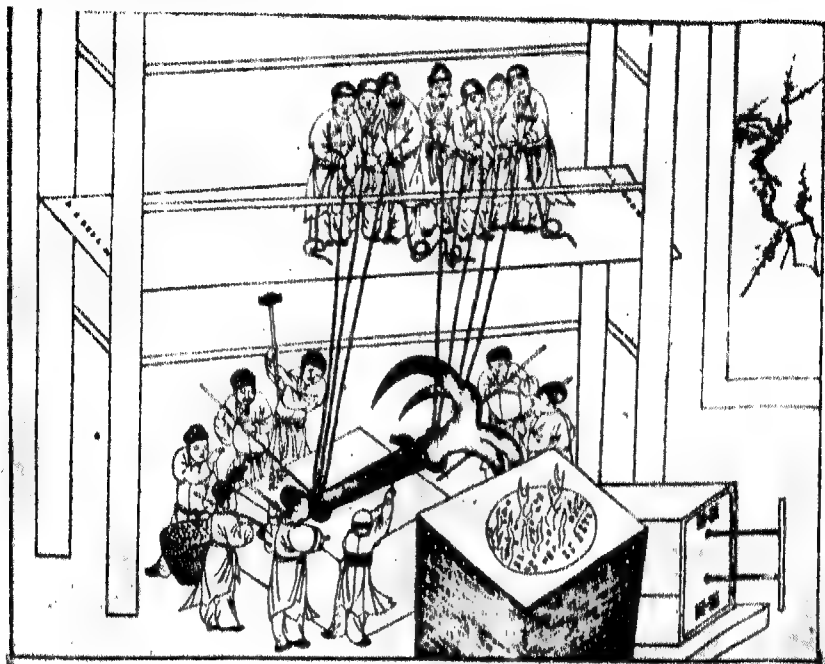
لوحة برونزية كان يحملها الحراس
الحكوميون في عهد أسرة مينغ ،
ومنقوش عليها : « على كل
حارس ان يحملها معه . والويل
لمن يحملها او يعيرها او
يستعيرها . »



نموذج فرن الحرفيات الحكومى في
بلدة جينغده. مقاطعة جيانغشى



(١) - النصب التذكارى من ايام اسرة مينغ فى مدينة نانجينغ . . منقوش
عليه رحلات تشينغ خه البحرية الى الغرب



طرق المرساة الحديدية . في عهد اسرة مينغ



مدفع برونزي استعمل في حراسة
حدود الصين الشمالية في عهد اسرة
مينغ



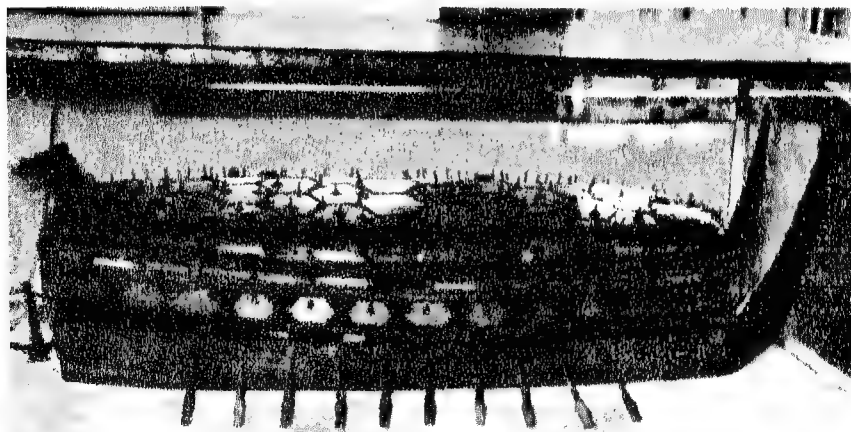
برج المراقبة الذى بنى خارج مدينة تشيوانتشو ، مقاطعة فوجيان للمساعدة
على مقاومة الغزاة اليابانيين فى عهد الامبراطور جيا تشينغ لاسرة مينغ



حربة القائد الشهير المناهض
للغزاة اليابانيين تشى جى
قوانغ فى عهد اسرة مينغ ،
عليها كلمات : « عائلة تشى ،
محافظة دنغتشو ، شانغونج .
فى العام العاشر الذى تولى فيه
الامبراطور وان لى عرش
الحكم



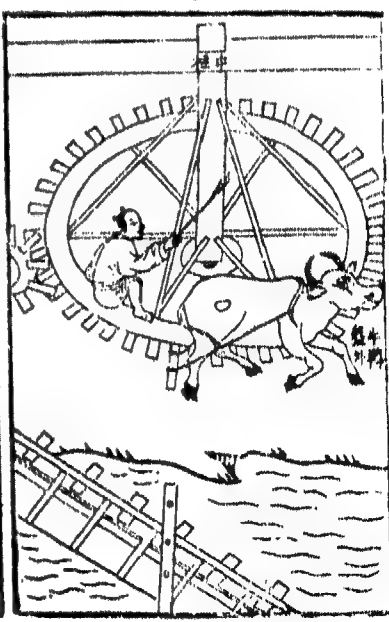
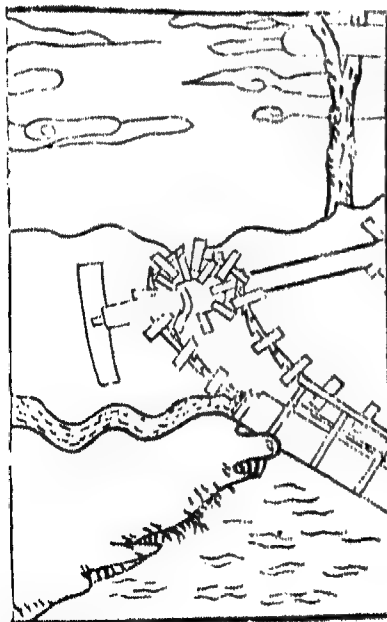
شيوى قوانغ تشى مؤلف « الكتاب الكامل فى الزراعة »
فى عهد اسرة مينغ



نموذج لسفينة حربية على شكل السلحفاة صممها لى شون تشن القائد
الكورى الشهير المناهض للغزاة اليابانيين



لى شى تشن الصيدلى العظمى ، يأتى المراد عائلته واصداقائه وتلاميذه الى
مساعدته فى تصنيف « الموسوعة الصيدلية . » رسم تقليدى بالحبر الصينى .
بريشة : جيانغ تشاو.خه



صورة طبق الاصل من كتاب : « الابداع السماوى » بين لاعورة فى عهد اسرة مينغ



تدريبات عسكرية في الحقول ، صورة من رواية « ابطال البحيرة » التي تم
طبعها في عهد اسرة مينغ بناء على تنقيح يانغ دينغ جيان . والاصل هذا
محفوظ في مكتبة جامعة بكين

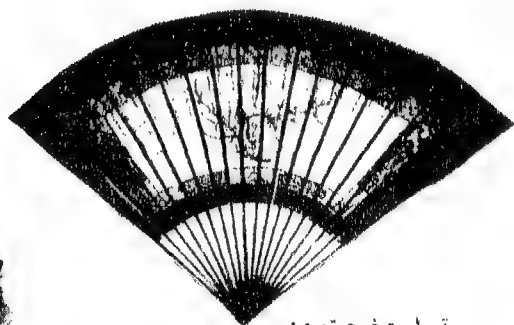
لى تشى . مفكر
تقدمى فى اواخر
عهد اسرة مينغ



وانغ فو تشى ،
مفكر فى اواخر
عهد اسرة مينغ
واوائل اسرة
تشينغ



جزء من مقبر يرجع تاريخه الى اسرة مينغ في مقاطعة سيتشوان



مروحة استخرجت من
مقاطعة جيانغسو

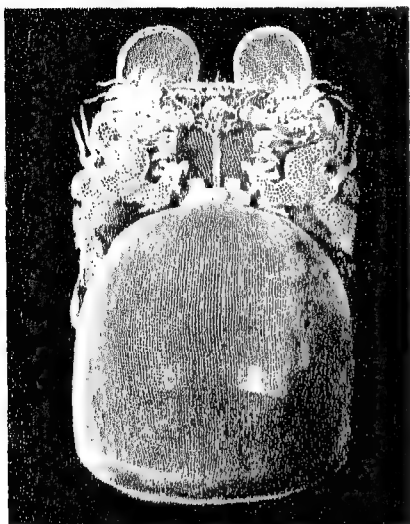


قطعة فضية تزن
« تايل » ، استخدمت
في اداء الجايا
والضرائب في عهد
اسرة مينغ

تمثال عسكري

تمثال خشبية تم صنعها في أيام اسرة مينغ
استخرجت من مقاطعة شانغونغ





الناج لامبراطور وان لي
استخرجت من مقابر اباطرة
مينغ شمال بكين

ملبس امبراطوري منسوج من خطوط ذهبية

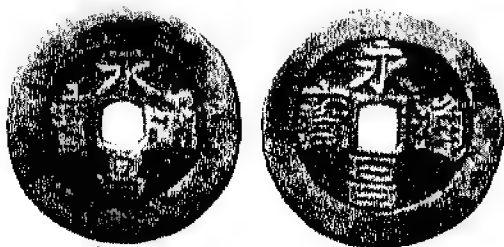


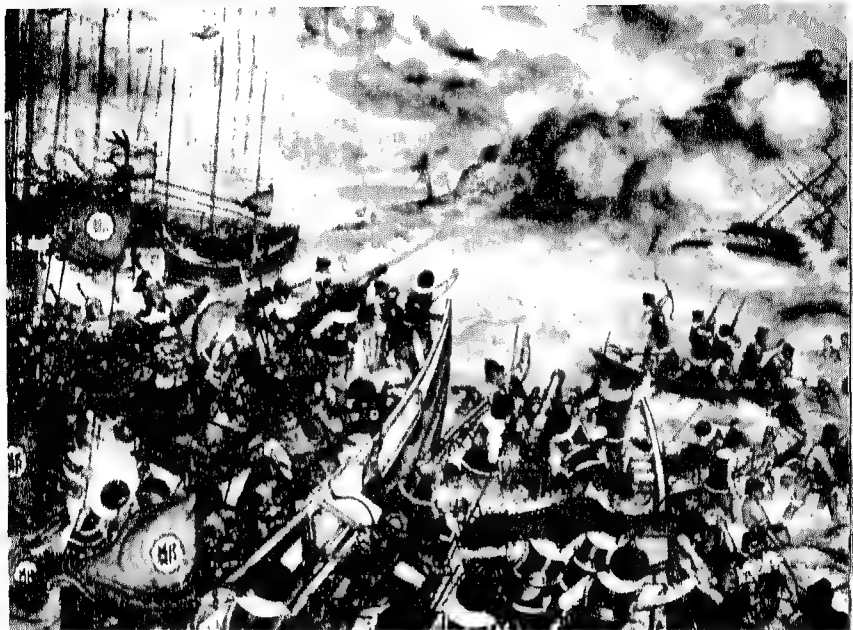


يدخل مدينة بكين

(٥)

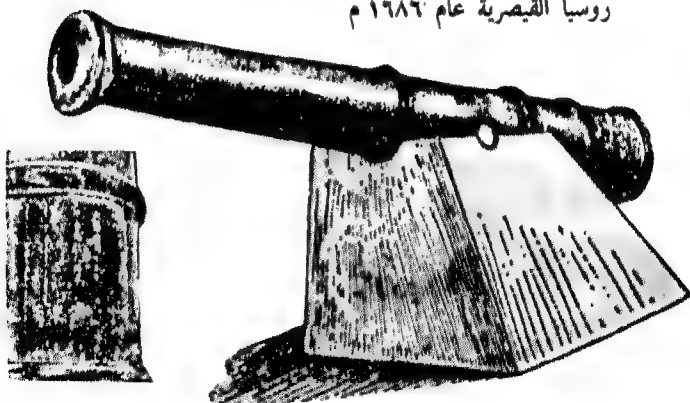
لقود نحاسية تم ضربها
حينما أسس في تشي
تشنغ سلطنة الحكم
بمدينة شيان ، ونقش
على كل منها «لقود
يونغ تشانغ الراجة»





صورة اعادة تشنغ تشنغ قونغ جزيرة تايوان الى الوطن الام

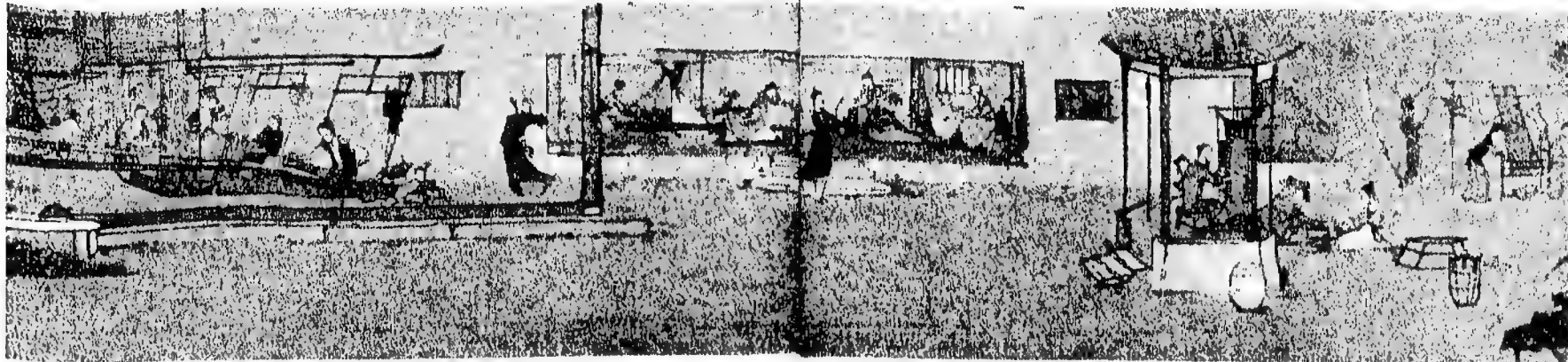
مدفع نحاسي يدعى « القهار الجبار » ،
استخدمه جيش تشينغ في قصف جيش
روسيا القيصرية عام ١٦٨٦ م



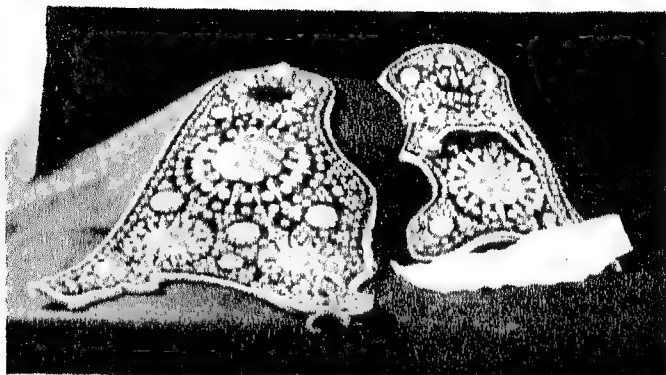
اسرة تشينغ



نصب خشبي للامبراطور تشيان لونغ وعليه صورته ، اسرة تشينغ ، في وسط
قصر بوتالا في عاصمة التبت



الصورة توضح معامل الحرير والنسيج في عهد أسرة تشينغ على لفيفة
بالاسلوب القديم



جعبة القوس وكنانة السهام اللتان قدمها دويداش زعيم قبيلة تورقوت المغولية
للامبراطور تشيان لونغ كجزية



جهاز فلکی فی عهد کانغ
شى من اسرة تشينغ



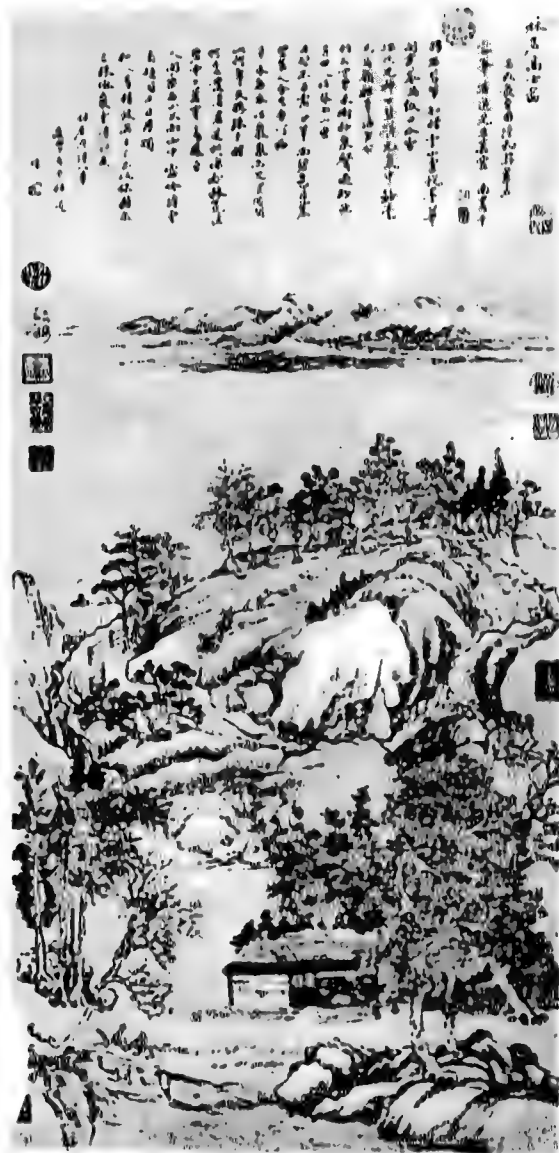
صورة نقاط الوخز للفئة الكلوية في المجلد الخامس : من كتاب « الكامل في الطب »

بو سونغ لينغ



تساو شيويه تشين





لوحة «العالم الناسك في الغابة» بريشة : يون شو بينغ



من آثار حديقة يوانغينغوان

اساس السلطة الحاكمة للمغول .

طبق جنكيزخان مبدأ « توزيع الاراضى على كبار العائلات » بعد توحيد القبائل مما دفع المجتمع المبودى يتحول الى المجتمع الاقطاعى بصورة سريعة . ومن ثم استحوذ بنو جنكيزخان وخواصه على مساحات من الارض والسكان ، وتكلف الكادحون بمزاولة الانتاج الرعوى ودفع الجبايا والضرائب وكذلك اعداد الخيول والسروج والاسلحة والغلال واذا نشبت الحرب تبعوا مواليهم الى قتال العدو . هذا وقد تحول جنكيزخان واهله واقربائه ووزراؤه الى سادة اقطاعيين وتحول العبيد والاحرار سابقا الى عبيد رعاة وبالاضافة الى ذلك شرع المبدأ الاقطاعى يعم المجتمع المغول .

وحدة أسرة يوان

شن جنكيزخان حروبا كثيرة بعد توحيد قبائل المغول فاخضع بقواته العسكرية اسر شيا الغربية وتوفان والويغور لحكم المغول ابتداء من عام ١٢٠٥ ، فانهى حكم اسرة شيا الغربية عام ١٢٢٧ واسرة جين عام ١٢٣٤ .

ثم شنت قوات المغول هجمات متتالية على اسرة سونغ الجنوبية بعد سقوط اسرة جين ، فزحف قوبلاى خان ، حفيد جنكيزخان ، بحشود حاشدة للاستيلاء على دالى جنوب غربى الصين فحاصر اسرة سونغ الجنوبية . ثم ورث قوبلاى خان الحكم متخلدا من العاصمة الكبرى (بكين) عاصمة للدولة ثم اعلن رسميا اسم دولته باسم يوان (١٢٧١ - ١٣٦٨) عام ١٢٧١ . وان قوبلاى خان ، لقب يوان شى تسو ، وهو اول امبراطور لاسرة يوان ، وتولى الحكم من عام ١٢٦٠ الى عام ١٢٩٤ .

واصلت قوات المغول بقيادة يوان شى تسو الهجمات على اسرة سونغ الجنوبية واستولت على اراض واسعة فى المجرى الاوسط والاسفل لنهر اليانغتسى لكى

كابدت من المقاومة العنيفة من قبل الشعب والجيش لأسرة سونغ الجنوبية وانتهى الامر بالاستيلاء على لينآن عاصمة سونغ الجنوبية عام ١٢٧٦ . واد ذلك نهض ون تيان شيانغ (١٢٣٦ - ١٢٨٢) القائد العسكرى وزحف بحشود حاشدة الى مقاطعات جيانغشى وفوجيان وقوانغدونغ لمقاومة الدخلاء لكنه وقع اسيرا بيد المغول فى احدى المعارك فنقل الى العاصمة الكبرى (بكين) وسجن فى

زنازة اربعة اعوام ، وفي تلك الاثناء اظهر روح البطولة والاباء مفضلا الموت بشرف على الحياة بخنوع فقتل . ثم وصلت قوات المغول الى آيشان (جنوب محافظة شينهو ، مقاطعة قوانغدونغ ، حاليا) على ساحل البحر الجنوبي وانتهت الى القضاء على اسرة سونغ الجنوبية ومن ثم توحدت الصين في اسرة يوان على يد المغول عام ١٢٧٩ .

شهدت الصين المتعددة القوميات الموحدة في ظل اسرة يوان تطورات ملحوظة ، وازدادت احوال التآلف بين قومية هان وبين الاقليات القومية . فلما استولت قومييتا تشيدان ونوييتشن على امتداد وادي النهر الاصفر وخالطنا ابناء قومية هان عبر عمليات المجاورة والتزاوج زالت الفروقات بين هذه القومية وتلك في ظل حكم يوان فسميتا باهل « هان » . والجدير بالذكر ان العرب والفرس المؤمنين بدين الاسلام الدين وصلوا منذ عهود اسرتي تانغ وسونغ وخاصة منذ القرن الثالث عشر قد استوطنوا في مناطق متعددة فاشتهروا بلقب « هوى » كما انشأوا صلات التآلف والزواج بينهم وبين ابناء هان والمغول والويغور حتى تكونت منهم قومية جديدة هي قومية هوى .

تحديد المقاطعات الادارية

كانت مساحة الصين في عهد اسرة يوان اوسع منها في الاجيال الماضية فعملت حكومة يوان على تحديد مقاطعات ادارية في نطاق البلاد وذلك من اجل تعزيز الحكم الاتقاعى وقررت انشاء وزارة للمقاطعات في الحكومة المركزية كأعلى هيئة لادارة شؤون الدولة . وبالتحديد ، كانت المقاطعة اضخم نطاقا من المقاطعة حاليا ، اضافة الى ذلك قامت دائرة للاشراف بمحافظة تونغآن ، مقاطعة فوجيان وكلفتها بالمسؤولية عن ادارة جزيرتي بننغو وتانوان . وتحديد المقاطعات الادارية ذلك في نطاق انحاء البلاد قد ارسى اساسا لتحديد المقاطعات الحالية بصورة اولية .

كما انشأت دائرة للسياسة والدعاية في الحكومة المركزية مسؤولة عن ادارة دين بوذا في انحاء البلاد وادارة شؤون التبت . وعملت حكومة يوان على تعيين الموظفين المسؤولين عن التبت ومراقبة القوات العسكرية فيها واحصاء السكان

وجمع الجبايا والضرائب وتطبيق الادارة الفعالة هنالك ومن ثم تحولت التبت الى منطقة تحت ادارة حكومة يوان بصورة رسمية وكذلك عملت حكومة يوان على انشاء الهيئة الحاكمة في منطقة شينجيانغ واقامة القوات العسكرية هنالك .

الاقتصاد

في البداية ، اهل النبلاء المغول الاهتمام بالانتاج الزراعى على اودية النهر الاصفر حين زحفت قواتهم الى الجنوب ، وكان كثير منهم قد استحوذ على مساحات شاسعة من الاراضى المزروعة وحولوها الى مراعى حتى اقترح بعضهم اخلاء المساحات الشاسعة من ابناء قومية هان كيما ترعى فيها المواشى بحجة أنهم « غير صالحين للدولة » ، مما أدى الى اثاره الفتنه والفوضى . وهنا نهض الوزير الاعظم بالوتشوتساى (١١٩٠ - ١١٤٤) قائلا : لو سمح لأبناء قومية هان ان يزرعوا ويدفعوا الجبايا والضرائب فذلك مفيد لنبله المغول . ونصحهم بترك ما يضر الانتاج الزراعى . وعندما تولى قوبلاى خان الحكم اعطى اهتمامه وعنايته للانتاج الزراعى ووجه اوامره الى انشاء الدائرة المسئولة من الزراعة وتكليفها بادارة شئون الزراعة وتربية دود القز فى انحاء البلاد وارسل المرشدين الزراعيين الى تفقد احوال الانتاج الزراعى فى ارجاء البلاد وطلب منهم ان يكتبوا الى الحكومة المركزية تقارير عن نتيجة التفقد كيما ترجع اليها فى تقدير الموظفين المحليين الذين نجحوا او فشلوا فى معالجة الشئون المحلية واضافة الى ذلك عملت دائرة الزراعة على مراجعة الكتب القديمة وجمع الخبرات والتجارب المتقدمة من اوساط الشعب حتى اتمت تأليف كتيب بعنوان : « مهمات الزراعة وتربية دود القز » ووزعته على انحاء البلاد مستهدفة تشجيع الناس على ممارسة الانتاج الزراعى . كما وجه يوان شى تسو اوامره الى انشاء دائرة مسئولة عن ادارة شئون حفر القنوات والرى وحشد الايدى العاملة واللوازم اليومية فى انحاء البلاد لترميم النهر الاصفر وتشيد منشآت الرى .

اعيد الانتاج الزراعى الى حالته الطبيعية تدريجيا وشهد تطورات ملحوظة عبر العمل المجد لدى ابناء القوميات المختلفة بينما توسعت مساحات القطن اوسع مما مضى ، الامر الذى خلق الظروف الملائمة لتطوير صناعة الغزل والنسيج .

القطنى وكذلك تطوير الزراعة فى مناطق الحدود وخاصة فى منطقة يوننان جنوب الصين وبلغ مستواها المتطور نظيره فى داخل البلاد .

ازدهرت المواصلات ازدهارا نسبيا فى عهد أسرة يوان . فآنذاك اعتمدت حكومة يوان على المناطق جنوبى شرق الصين فى جمع الاموال والغلال التى يحتاج اليها سكان العاصمة الكبرى (بكين) وكان النقل يتم اما بالنهر او بالبحر اذ كانت القناة الكبرى التى تربط جنوب الصين بشمالها محطلة الملاحة بسبب الحروب المتتالية بين جين وسونغ الجنوبية عبر السنين ، وعندما تولى يوان شى تسو عرش الحكم تم حفر قناة هويتونغ من محافظة لينتشينغ الى دونغينغ ، مقاطعة شاندونغ ، وايصالها بالقناة الكبرى المؤدية الى الجنوب والشمال وعمل على تطوير القناة من المعوقات كما حفر قناة تونغهوى بين محافظة تونغتشو (شرق بكين) وبين العاصمة الكبرى (بكين) ، هذا وقد وصلت الغلال من هانغتشو جنوبا الى العاصمة الكبرى (بكين) مباشرة عبر القناة المذكورة كما عملت حكومة يوان على افتتاح خط الملاحة البحرية بين الجنوب والشمال فانطلقت السفن من مرفأ ليوجيا بمصب نهر اليانغتسى (نهر ليو خه ، محافظة تاييتسانغ ، مقاطعة جيانغسو ، حاليا) عابرة البحر الاصفر وبحر بوهاى حتى وصلت الى تشى قو (تيانجين ، حاليا) ثم نقلت الى العاصمة الكبرى (بكين) . كانت الرحلة تستغرق عشرة ايام فقط اذا كانت السفينة مع الريح . وفى اغلب الاحيان ، كانت حمولة السفن تنقل ١٧٥ الف طن من الغلال سنويا . وهكذا لعبت الملاحة البحرية دورا هاما فى نقل الغلال من الجنوب الى الشمال فى عهد أسرة يوان .

التناقضات الاجتماعية وسقوط اسرة يوان

فرضت حكومة يوان على الفلاحين ضرائب باهظة وخاصة ضرائب بديلة عن اعمال السخرة فاذا دفعوها اكرهوا على اداائها كذلك . وقد استحوذ النبلاء من قوميى المغول والهان وغيرهما وكبار الموظفين وملاك الاراضى واصحاب الممابد على مساحات شاسعة من الحقول المزروعة . وهنا نستشهد بما ذكرته المدونات التاريخية : « يعجز الطير عن الوصول الى نهايتها » . فمثلا ، منح امبراطور يوان الوزير الاعظم بو يان ٣٠ الف هكتار من الحقول المزروعة الواقعة فى مقاطعة شنان . واطافة الى ذلك ، وجب على الفلاحين المستأجرين ان يدفعوا اجورا اضافية بصورة متتالية وعلى بنيتهم وبناتهم ان يخدموا مواليتهم . واشد من ذلك ان الحقول كانت تباع مع افراد العوائل الفلاحية الى آخرين حيناً . هذا من جهة ، ومن جهة اخرى ، سبى النبلاء وكبار الموظفين عبر الحروب اعدادا كبيرة من السكان كغنائم خاصة بهم اجبرت على الزراعة واداء اعمال السخرة ودفع الجبايا والضرائب حتى سيم البشر كالحوانات الى الاسواق للبيع .

كما انشأت حكومة يوان معامل جلب اليها الصناع بعوائل البالغ عددها مليوناً ، واتمت تصنيف سبلات الصناع واهاليهم وسمتها بسجلات عوائل الصناع حيث عملوا ليل نهار وحصلوا على ما لم يسد رمقتهم ومع ذلك نزل عليهم الضرب والشتم حيناً بعد حين . واطافة الى ذلك لم يسمح لنسل الصناع ان يتخلصوا من المعامل الحرفية .

كما عمل حكام اسرة يوان على تطبيق سياسة الاضطهاد القومى مجسدة فى تقسيم سكان البلاد الى اربع درجات : « المغول » اصحاب المنازل العالية ؛ « سكان سهو » ومنهم ابناء شيا الغربية وغيرها من المنطقة الغربية ؛ « ابناء هان » ومن ضمنهم الهانيون الشماليون وابناء قوميات تشيدان ونيويجن وغيرها فى الشمال ؛ سكان الجنوب وهم فى المنزلة الأدنى : الهانيون الجنوبيون وابناء القوميات فى جنوب نهر اليانغتسى ، على ان بعض ملاك الاراضى الهانيين كانوا

يشغلون المناصب الحكومية ويملكون حقولا واسعة . وقد افلس بعض المنول
وتشردوا بدورهم في كل مكان فتحولوا الى ارقاء .

الانتفاضة الفلاحية وجيش الشالات الحمر

ضاق ابناء القوميات ذرعا بالاضطهاد الشنيع الذي مارسه حكام اسرة يوان
فخرج منهم زعماء مثل هان شان تونغ وليو فو تونغ وغيرهما وقاموا بتعبئة الفلاحين
في اودية المجرى الاسفل للنهر الاصفر ونهر هوايخه ، وهذا قد قدح شرر
الانتفاضة الفلاحية على نطاق واسع . وكان الامبراطور شون دى لاسرة يوان
(١٣٢٠ - ١٣٧٠) قد اوفد ١٥٠ الفا من الفلاحين و ٢٠ الفا من الجند بمقاطعتي
شيبى وخنان الى ترميم النهر الاصفر عام ١٣٥١ ، وأنداك كان الفلاحون
يعيشون عيشة بائسة فلما وصلوا الى موقع العمل ، فرض الموظفون عليهم اتارات
وجلدوا ظهورهم مما ادى الى تأجج نار الحقد والغضب في صدورهم . وفي الحال ،
عمل هان وليو وامثالهما على تعبئة الفلاحين مغتنيين هذه الفرصة ونشروا
الحكاية التالية : « رجل صغرى اعور اذا فتح عينه نحو النهر الاصفر اثار
التمرد . » واذاك احضروا حجرا نحتوا عليه تمثالا لرجل اعور ودفنوه قاع
نهر هوايغليونغ (شمال شرقى محافظة لانكاو ، مقاطعة خنان ، حاليا) .
وعندما حفر الفلاحون استخرجوا الرجل الصغرى فهاجت في قلوبهم عواطف
جياشة فعدوا عزائمهم على تحطيم العالم الظالم . فلما بلغ الموظفون المحليين
خبر المؤامرة المدبرة بعثوا الى هان شان تونغ وقتلوه . وفي الحال ،
تكلّف ليو فو تونغ بقيادة الفلاحين واعلن الانتفاضة في مدينة ينجتشو (محافظة
فونانغ ، مقاطعة آنهوى ، حاليا) ، فاستولت قوات الانتفاضة رة على ناملق
ممتدة من ينجتشو الى خنان بصورة سريعة وانضم اليها مئات الآلاف . وبع
ذلك كانت قوات الانتفاضة ترفع رايات حمرا زاهية وكل مشترك فيها على رأسه
شال احمر . لذا اطلق عليها الناس جيش الشالات الحمر .

تأثر الفلاحون بدعوة ليو فو تونغ والتحقوا جماعة فجماعة بقوات الانتفاضة
وتبعتهم الانتفاضة بقيادة شوى شيو هوى وقوه تسي شينغ في مقاطعة آنهوى
وسميت ايضا « جيش الشالات الحمر » .

وجه ليو فو تونغ بجيش الشالات الحمر ضربات ساحقة ضد قوات يونان الحكومية فانشأ سلطة الفلاحين في بو تشو (محافظة بوشيان ، مقاطعة آنهوى ، حاليا) واسماها دولة سونغ واختار هان اين ار بن هان شان تونغ ملكا لها ١٣٥٥ . وفي العام التالي شن جيش الشالات الحمر هجمات على مناطق متعددة وفاز بالانتصارات العظيمة وفي عام ١٣٥٧ ، بعث ليو الى الشمال ثلاثة جيوش اولها دخل مناطق شنشى ، قانسو ، نينغشيا ، سيتشوان وثانيهما وصل الى منطقتي شاندونغ وشىي واقترب من العاصمة الكبرى عاصمة يونان والثالث دخل منطقة منغوليا الداخلية منطلقا من منطقة شانشى واشعل الحريق في قصور كاييبنغ في العاصمة العالية (على الضفة الشمالية لنهر شانغدو ، غرب شمالى دوهلون ، منطقة منغوليا الداخلية الذاتية الحكم ، حاليا) ثم وصل الى شرق منطقة لياونينغ . وازداده ذلك كان قسم من الجيش بقيادة ليو فو تونغ ينتقل في منطقتي آنهوى وخنان للقتال واستولى على بيانليانغ (كايبنغ ، مقاطعة خنان ، حاليا) متخذاً منها عاصمة للدولة وكذلك قامت الانتفاضة الفلاحية جنوب نهر اليانغتسى واستولت قواتها ، مليون جندي ، على مساحات فسيحة من مجرى اليانغتسى الاوسط والاسفل . وجهت قوات الانتفاضة رمحها نحو سلطات يونان الحاكمة المحلية في انحاء البلاد وقتكت بكبار الموظفين الفاسدين وملاك الاراضى والغت الاجور والضرائب واعمال السخرة كما فتحت مستودعات الغلال لاغاثة الفقراء واستولت على الحقول المزروعة من ملاكها ووزعتها على الكادحين المدقمين وخلصت الارقاء الفلاحين والارقاء وعوائل الصناع من قيود العبودية واعادت الحرية المطلقة اليهم حتى تداعت سلطة يونان الحاكمة بضربات الانتفاضة الفلاحية .

ولما عجز الجيش الحكومى عن مواجهة قوات الانتفاضة الفلاحية اعطى حكام يونان رؤساء القوات المسلحة اهلاك الاراضى عطاء سخيا ودعوهم الى مشاركة الجيش الحكومى في قتال قوات الانتفاضة وفي نفس الوقت حاولوا اغراء قواد الانتفاضة الفلاحين بالجاه والمال بغية خلق الشقاق بين قوات الانتفاضة . هذا من جهة ، ومن جهة اخرى ، كانت الانتفاضة الفلاحية تنقصها القيادة الموحدة وقوتها مشتتة ، الامر الذى جعل العدو يستغل ذلك ، فانهزمت قوات ليو فو تونغ بسبب الهجمات المنيعة من قبل القوات الحكومية والقوات المسلحة لملاك الاراضى بصورة متتالية ثم وقع ليو مع قواته العسكرية في حصار محكم في

آنفنج (محافظة شيوشيات ، مقاطعة آنهوى ، حاليا) واستشهد بشرف . وقد استمر جيش الشالات الحمر بقيادة ليو فى النضال المسلح ١٢ سنة خاض خلالها مئات المعارك وزلزل أركان يوان الاقطاعية .

القضاء على اسرة يوان

تشو يوان تشانغ (١٣٢٨ - ١٣٩٨) اول الاباطرة لاسرة مينغ فى التاريخ الصينى ، كان فلاحا أجيرا والتحق بجيش الشالات الحمر بقيادة قوه تسي شينغ عام ١٣٥٢ ، اى بعد ان قامت الانتفاضة الفلاحية بقيادة ليو فو تونغ وغيره بسنة واحدة ثم حمل على كتفه مسئولية قيادة رجال قوه بعد وفاته وبعد ذلك قبل لقب الملك الذى منحه اياه هان لين ار ملك مينغ الصغير . ثم زحف تشو بقواته العسكرية الى جنوب نهر اليانغتسى واستولى على مدينة تشيتشينغ عام ١٣٥٦ وحول اسمها الى البلدية يينغتيان (مدينة نانكين ، حاليا) وانشأ فيها سلطة الحكم واغتنم فرصة الحروب الجارية بين جيش الشالات الحمر بقيادة ليو فو تونغ وبين القوات الحكومية والقوات المسلحة لملاك الاراضى مستهدفا تطوير نفوذه الخاص واختار المستشارين المستنيرين من طبقة ملاك الاراضى ومنحهم وظائف عالية . وأشار عليه تشو شنج : « تشيد الاسوار العالية المحيطة بالمدن وادخار الغلال اكثر فاكثرا وتأجيل تسمية الامبراطور » سعيا وراء تطوير الانتاج الزراعى وتوسيع القوات المسلحة . هذا وقد سيطر على المناطق الفسيحة لمجرى اليانغتسى الاوسط والاسفل عبر حروب استغرقت عشر سنوات .

تأثر تشو يوان تشانغ فكريا بطبقة ملاك الاراضى واحببت اعماله حين اتسع نفوذه حتى تحول الى وكيل لطبقة ملاك الاراضى حيث اعلن بياناً وصف فيه جيش الشالات الحمر بكلمة « الشيطان » كما اوضح فى البيان : « اعادة المساكن والممتلكات الى طبقة ملاك الاراضى . » ثم بحث تشو قواته العسكرية الى الشمال عام ١٣٦٧ . وفى عام ١٣٦٨ اعتلى تشو يوان تشانغ عرش الحكم فى بلدية يينغتيان ونصب نفسه امبراطورا لاسرة مينغ . وهنا نذكر ان تشو يوان تشانغ هو مينغ تاي تسو كما ورد فى السجلات التاريخية الصينية ، الذى تولى سلطة الحكم لاسرة مينغ من عام ١٣٦٨ الى عام ١٣٩٨ ، وفى نفس العام استولت قوات مينغ العسكرية على عاصمة يوان الماصمة الكبرى (بكين ، حاليا) . وبهذا اندثر حكم اسرة يوان فى الصين .

العلاقات الخارجية والثقافة فى عهد أسرة يوان

كانت الصين من اقوى واغنى بلدان العالم وشاع صيتها فى
اوربا وآسيا وافريقيا فى عهد أسرة يوان (١٢٧١ - ١٣٦٨) .

العلاقات الخارجية فى عهد اسرة يوان

تطورت المواصلات الخارجية تطورا عظيما آنذاك وكان الامبراطور
قوبلاى خان - يوان شى تسو - (١٢١٥ - ١٢٩٤) قد سمح للتجار الأجانب
بالمجيء الى الصين فتدفق اليها من ٢٠ بلدا او اكثر بما فيها مدينة تشامبا
(جنوب الفيتنام حاليا) وسومطرة وطاب المقام لبعضهم فاستقر وعين آخرون
موظفين فى حكومة يوان ، من بينهم بو شيو قنغ ، تاجر عربى ، الذى احتل
منصبا كبيرا فى حكومة يوان ، وبالتحديد ، كان المسئول عن ادارة التجارة
الخارجية بمقاطعة قونغونج وفوجيان ، واخوه بو شيو تشنغ الأديب المشهور
الذى نظم الشعر باللغة الصينية . لقد جاء عدد غير قليل من العلماء العرب والاوربيين
استقروا فى الصين وساهموا فى قضية العلوم والثقافة فى الصين مثل يوسف العالم
العربى الذى جاء عن طريق بيزنطة الشرقية والذى عمل فى خدمة اسرة يوان
من عام ١٢٥٠ الى وفاته عام ١٣٠٨ . وقد نال لقب « عضو الاكاديمية
الامبراطورية » وثمة عالم آخر هو جمال الدين الفلكى الفارسى
عمل فى خدمة اسرة يوان سنوات عديدة وعين مشرفا على انشاء المرصد الفلكى
بكين وكذلك صناعة المزواة والمحلقة (آلة فلكية قديمة) والمقاييس الاخرى ،
كما خرج بعض الصينيين بجولات ورحلات الى الخارج نتيجة سهولة المواصلات
البحرية آنذاك . وعندما تولى الامبراطور يوان دى (١٣٢٠ - ١٣٧٠) عرش
الحكم ابهر وانغ دا يوان المولود فى مدينة نانتشانغ ، مقاطعة جيانغشى مرتين
الى البلدان على شواطئ المحيط الهندى وتجول فى الهند والجزيرة العربية وفارس
وبعض البلدان على سواحل البحر الابيض المتوسط وساحل افريقيا الشرقى (تانزانيا ،

حاليا) . ووضع كتاب « موجز في وصف الاجانب وسكان الجزر الاجانب »
 يعد عودته وسجل فيه ما رآه وسمعه من العجائب والغرائب .
 وكانت المدن مثل العاصمة الكبرى (بكين ، حاليا) وهانغتشو وتشيوانتشو ،
 قوانغتشو جنوب نهر اليانغتسى مزدهرة جذبت اليها التجار والزوار الأجانب ،
 فوصل اليها ماركوبولو الرحالة الايطالى (١٢٥٤ - ١٣٢٤) بصحبة أبيه
 عام ١٢٧٥ ولاقى هو وابوه حفاوة بالغة وكان الامبراطور قوبلاى خان يستمع
 اليه ويعمل وفق آرائه . اقام ماركوبولو فى الصين ١٧ سنة وتجول فى انحاء البلاد
 ووضع كتاب : « رحلات ماركوبولو » بعد ان عاد الى مدينة البندقية ،
 وسجل فيه احوال البلاد والاسواق المزدهرة فى عهد اسرة يوان . وقد اثار ذلك
 الاوربيين لمعرفة الحضارة الصينية . ومما ذكره عن العاصمة الكبرى انها :
 « مدينة لا نظير لها فى وفرة السلع والمستوردات . » واستطرد قائلا : « البنايات
 والعمارات فخمة وضخمة فى داخل المدينة وخارجها فضلا عن قصور كبار
 القوم » ، كما تحدث عن التجارة المزدهرة فى نفس المدينة قائلا : « تتدفق الى
 المدينة كميات هائلة من البضائع كالسيول . . فالحرائر تجرها حوالى الف عربة قادمة
 الى المدينة يوميا » . وقال عن مدينة شيآن : « تزدهر الزراعة والصناعة والتجارة
 اليومية لاتحصى فى المدينة والاسعار رخيصة جدا جدا . » وكذلك تحدث
 عن المواصلات النهرية بمدينة تشنغفو ، مقاطعة سيتشوان : « السفن والقوارب
 تملأ النهر ويتردد عليها التجار حاملين بضائعهم . وليس لها مثيل فى الازدهار
 فى خارج الصين ! » وتحدث عن التجارة الخارجية فى مدينة تشيوانتشو التى
 اطلق عليها اسم الزيتون آنذاك قائلا : « بلغت الواردات من اللآلئ والاحجار
 الكريمة فى هذه المدينة درجة خيالية » كما قدر الراسيات فى ميناء تشيوانتشو بمائة
 سفينة . وعاد هذا الرحالة الايطالى الى اوربا عن طريق بلاد فارس مرافقا موكب
 الاميرة التى تزوجت من امير ايلخان عام ١٢٩٢ .

وابن بطوطة (١٣٠٤ - ١٣٧٧) الرحالة العربى الشهير وصل الى
 الصين عام ١٣٤٧ حيث اعجب بالمناظر الطبيعية الجميلة والثروات الطائلة .
 فقد ذكر فى رحلته عن قوانغتشو : « الاسواق مزدهرة فى المدينة ولا مثيل لها
 فى العالم » وكذلك قال عن مدينة هانغتشو انها لا مثيل لها فى الدنيا . ولقى
 من اهل الصين افضل معاملة . . اوفدت حكومة يوان مبعوثا خاصا لمصاحبته

في جولاته حيث اهتمت بعبادته الاسلامية من حيث المأكل والمشرب وغير ذلك .
نقلت الاختراعات الصينية ، البوصلة والبارود وفن الطباعة ، الى البلدان
العربية واوروبا وكذلك نقلت علوم الفلك والطب والحساب من العرب الى الصين
وبذا تعززت العلاقات الثقافية بين الصين وبين البلدان الاجنبية .

العلوم والتقنية

تطورت العلوم والادب والفن في الصين من عهد أسرة يوان فخرجت مجموعة
ممتازة من رجال الثقافة والعلوم .

قوه شيو تشنغ (١٢٣١ - ١٣١٦) : عالم فذ في عهد اسرة يوان تأثر
منذ صغره بجده قوه عالم الرياضيات وهندسة الرى واكمل تعليمه على يد الاستاذ
ليو بينغ تشونغ عالم الفلك والجغرافيا من بعده ، الامر الذى دفعه الى الشغف
بالعلوم الطبيعية . ثم استدعاه الامبراطور قوبلاى خان وهو في ال ٣٢ من عمره
واعطاه عطاء سخيا ، وقد وضع على عاتقه مسئولية تعديل طريقة التقويم السنوى ،
فاتم صناعة بضعة عشر صنفا من المقاييس الفلكية وتوصل الى ان ايام السنة
٣٦٥٢٤٢٥ يوما مبينا ان الفروق بين هذا الرقم والافاق الحقيقية التى تدور
فيها الشمس دورة واحدة حول الارض ٢٦ ثانية . ووضع كتابا جديدا عن التقويم
اسماه « التقويم السنوى » وهو يماثل التقويم الجارى فى الوقت الحاضر ،
اضافة الى انه سبقه بثلاثمائة سنة .

وتفنن العالم قوه شيو تشنغ فى هندسة الرى فرأس بنفسه ترميم القنوات
الجارية بمنطقة قاتسو ووينغشيا على امتداد شواطىء النهر الاصفر
فاستفاد منها الفلاحون لارواء ٦٠٠ الف هكتار من الحقول وبعد ذلك قاد حفر
القناة من العاصمة الكبرى الى تونغتشو فتم بواسطتها نقل الغلال من جنوب
الصين مباشرة .

هوانغ داو بوه ولدت فى بلدة « اونيتشنغ » بشانغهاى فى الفترة ما بين عهدي
سونغ ويوان . وعندما شبت وصلت الى جزيرة هاينان متشردة لسبب مجهول
حيث عاشت مع اهل قومية يى وتعلمت منهم طريقة الغزل والنسيج حتى اجادتها

ثم عادت الى شائنهائى عام ١٢٩٦ وهى تناهز الخمسين من عمرها فعاثت على نسج القماش والى جانب ذلك عملت جيرانها طريقة الغزل القطنى بينما اضافت بعض التحسينات الى الادوات كما علمتهم فن نسج الاقمشة المزخرفة حتى انتجوا اقمشة مزخرفة بغصون متقطعة ورسوم العنقاء المدورة ورقع الشطرنج ومقاطع اللغة الهانية . واصبحت الف عائلة تعيش على تلك المهنة فى بلدة « اونيتشنگ » وراجت شراشف البلدة فى كل مكان .

احرزت أسرة يوان رائعة فى علم الزراعة فخرج فى عهدهما عالم الزراعة وانغ الذى صنف « كتاب الزراعة » بعد جهود مضيئة استغرقت عشر سنوات وسجل فيه المنجزات التى احرزها الكادحون الصينيون فى الانتاج الزراعى منذ اصدار كتاب « الفنون الاساسية للرعاية الشعبية » الذى افه العالم جياسى شيه شيه العائش فى عهد اسرة وى الشمالية (٣٨٦ - ٥٣٤) . و « كتاب الزراعة » هو اول كتاب يلخص التجارب فى قطاع الزراعة فى الصين ، والجدير بالذكر ان وانغ تشن كان قد امسك بزمام السلطات لادارة المحافظات وكان حسن السيرة واستر يساعد الفلاحين فى كيفية ممارسة الانتاج الزراعى واصلاح الادوات الزراعية . وقد لعب « كتاب الزراعة » دورا هاما فى دفع الانتاج الزراعى الى التقدم والتطور . ولا يفوتنا ان نذكر هنا لو مينغ شان عالم الزراعة من القومية الويغورية الذى اتم تأليف « الموجز فى الزراعة وضروريات الحياة » وسجل فيه معلومات وفيرة من كيفية غرس الاعشاب الطبية وابادة الحشرات الضارة بالانسان .

الثقافة والفن

تطور علم التاريخ تطوراً نسبياً فى عهد اسرة يوان فجزر فيه المؤرخ الشهير ما دون لين الذى اتم تصنيف « التحقيق التاريخى فى الشؤون العامة » تاركاً مادة وفيرة رجعت وترجع اليها اجيال عديدة من المهتمين بدراسة نظام السياسة والاقتصاد آنذاك . وتكلف توتو (١٣١٤ - ١٣٥٥) رئيس مجلس الوزراء فى حكومة يوان بمهمة ثلاث مجموعات تاريخية : « تاريخ سونغ » ، « تاريخ لياو » ، « تاريخ جين » ، كل واحدة منها وخاصة الاخيرتين ، سجلت فيها

كميات غزيرة من المعلومات الاساسية عن قومييتى تشيدان ويويتشن ، وخرجت مجموعة باسم « تاريخ المغول » تضم ٢٨٢ فصلا تم تأليفها في الحقبة الوسطى من القرن الثالث عشر ، سجل فيها نشوء قومية المغول ومآثر الامبراطورين جينكيزخان (١١٦٢ - ١٢٢٧) واوغداي خان (١١٨٦ - ١٢٤١) . وهذا الكتاب مساهمة بارزة قدمها المغول في تطوير الثقافة الوطنية الصينية . تميز الادب والفن بميزات خاصة في ذلك المهد وقد سبق ذلك ظهور المسرحيات المتنوعة في عهد أسرة سونغ حيث عرضت المسرحيات الهزلية والغنائية وبعد ذلك ، خرج عدد من كتاب المسرحيات ورد اسماء ٢٠٠ منهم في كتب التاريخ واشهرهم قوان هان تشينغ ووانغ شى فو ، الخ .

قوان هان تشينغ (١٢١٠ - ١٣٠٠ تقريبا) ولد في العاصمة الكبرى وكان مسؤولا في الاكاديمية الطبية الامبراطورية وكانت علاقته بزملائه على خير ما يرام وتعرف على الممثلين المشاهير ومؤلفي المسرحيات . كان موهوبا مولعا بالغناء والرقص وخبيرا في الموسيقى . وكثيرا ما شارك الممثلين في عرض البرامج الفنية كما ترك لنا ٦٠ مسرحية منها عشر شائعة في الوقت الحاضر « الثلج في عز الصيف » ، « جوسق على النهر » ، والاولى تصف امرأة متهمة على انها سفاح . فاعلن القاضي المرتشى المحكم باعدامها وسارت الى ساحة الاعدام مظهرة روح الابهاء والبطولة ونددت بظالمها قائلة : « ايها الارض : مادمت لاتميزين بين الصالح والطالح فكيف تكونين الارض ؟ ايها السماء : مادمت تظلمين الابرار فكيف تكونين سماء » وهذه المسرحية تقضح الحكم الاقطاعي الظالم وتمدح كفاح الشعب . هذا وان اعمال الفنية تتألا فكريا وفنيا وتلقى الثناء والترحيب دوما من الشعب .

وانغ شى فو ، مولود في العاصمة الكبرى ، عمله الادبى « الغرفة الغربية » . رواية مسرحية تعبر عن الحب بين الحبيبين ، وتشيد بالكفاحات التى يخوضها الفتى تشانغ شنغ والفتاة تسوى ينغ ينغ في سبيل الحرية وتحطيم الاغلال الاقطاعية ، وتقضح الاخلاق الاقطاعية الكاذبة . والمسرحية هى عمل ادبى ممتاز لازال له قيمته في الوقت الحاضر .

ومن مؤلفي المسرحيات ما تشى يوان ، باى بو ، جى جيون شيانغ ، لى

تشى فو . اما ما تشى يوان فوضع مسرحية : « الخريف فى قصر هان » وهى تصف قصة وانغ تشاو جيون الوصيصة الجميلة فى اسرة هان الغربية (٢٠٦ ق . م - ٢٣ م) التى تزوجت من زعيم قبيلة من قومية شيونغنو فى تلك الايام . ومسرحية « اليتيم فى اسرة تشاو » التى كتبها جى جيون شيانغ تصف قصة حدثت فى عهد اسرة الربيع والخريف (٧٧٠ ق . م - ٤٧٦ م) . . كان رجال الامبراطور يسفكون الدماء بقسوة . وثمة انسان مظلوم ضحى بحياته لانقاذ اليتيم من البعش . وقد شاعت هذه المسرحية فى اوربا فيما بعد . والمسرحى لى تشى فو اتم تأليف ١٢ عملا مسرحيا عن قومية نيويجن ومن اعماله الشهيرة مسرحية « رأس النمر » وهى تصف جنديا من قومية نيويشن عقد عزمه على الالتزام بالانضباط العسكرى والحفاظ على التقاليد والاعادات لقومية نيويشن . وموسيقاها تتميز بخصائص نيويشن القومية المخالصة .

و كانت اساليب الاعمال الادبية والشعرية غير عالية فى عهد اسرة يوان الا سعد الله الشاعر الفذ من قومية هوى (١٢٧٢ - ؟) فقد كان يختلف عن غيره لأنه كان يقيم فى يانمون (شمال غربى محافظة دايشيان ، مقاطعة شانشى ، حاليا) وترك لنا مجموعة الاعمال الشعرية التى تسمى ديوان يانمون ، وشعره رصين جزل الاسلوب ويكشف قسوة الحروب التى اثارها الحكام الاقطاعيون للاعتداء على البلدان المجاورة كما زخرت اشعاره بالمواطف الجياشة نحو الشعب المنكوب بالمأسى .

وتطور فن الرسم بالسلوب خاص فى عهد اسرة يوان وخرج آنذاك عدد من الرسامين المشاهير ايضا مثل ورنغ منغ ، وو تشن ، فى تسان وغيرهم وقد كانوا فى رسوبهم يحاكون الطبيعة وما فيها من جبال وانهار بصورة رئيسية .

السياسة والاقتصاد فى عهد أسرة مينغ

شهدت الصين كدولة موحدة متعددة القوميات تطورا اسرة مينغ
(١٣٦٨ - ١٦٤٤)

كما أخذ نظامها الاقطاعى فى الانهيار تدريجيا مفسحا الطريق لنشوء الرأسمالية .

تطوير الاقتصاد الاجتماعى

تساقط النبلاء وكبار الموظفين وبمضى ملاك الاراضى عبر الانتفاضات
الفلاحية فى اواخر عهد أسرة يوان تاركين وراءهم مساحات شاسعة من الاراضى
الزراعية ، اهل قسم واعلى قسم الى الفقراء فازداد عدد المزارعين واصبح للمستأجرين
منهم منزلة ومكانة فى عهد أسرة مينغ وذلك بسبب انهم قد اشتغلوا دوما فى اعمال السخرة
تحت سطوة ملاك الاراضى . ولعنت حكومة مينغ قانونا ينص على أنه : من
يستخدم فلاحا مستأجرا فى تأدية اعمال السخرة يدفع له ٩٠ كيلوغراما من الارز .
فتحسننت معاملة الفلاحين فاقبلوا على الانتاج الزراعى بنشاط .

وقد كتب مينغ تاى تسو الى الموظفين فى انحاء البلاد يقول : (لم تستقر
امور الدولة الاقبل قليل ، والرعايا ينقصهم المال والقوت مثلهم كمثل افراخ
زغب الحواصل بل هم كمثل شتلة حديثة الغرس لا يجوز تحريكها .)

وبالاضافة الى ذلك اتخذ اجراءات جيدة لتطوير الانتاج الزراعى بهدف
زيادة الدخل الحكومى وتوطيد سلامة الدولة . كما اعترف بحقوق الفلاحين فى
الاراضى المزروعة التى بنوها بكد سواعدهم واعفاهم من اعمال السخرة والضرائب
ثلاث سنوات . وطلب الى الفلاحين الفقراء جنوب نهر اليانغتسى وغرب مقاطعة

تشجيانغ ومنطقة شانشى استصلاح الاراضى المقفرة فى اودية نهر هوايخه والمجرى من النهر الاصفر وكذلك امر قوات الجيش المراقبة فى انحاء البلاد ان تستصلح الحقول وتزرعها ، وبذلك حققت اكتفاء ذاتيا من اللؤلؤ لمدة تتراوح ما بين ٦٠ - ٧٠ سنة تقريبا ، الامر الذى ادى الى تخفيف الاعباء عن كاهل الشعب .
وارسل اول الاباطرة مينغ تاي تسو بعض الموظفين الى الولايات والمحافظات بغية مسح الاراضى ، كما فتشوا الاراضى التى ساحتها كثير من ملاك الاراضى والعتاة المحليين لاجبارهم على دفع الضرائب . وعليه ، ازدادت دخول الحكومة وتخلف الفلاحون من اعباء الضرائب .

وتحسن احوال اصحاب الحرف اليدوية فى اوائل اسرة مينغ ، وبالتالى اطلق عليهم لقب الصناع . ومن كان يقيم فى العاصمة عمل فى المعمل الحكومى عشرة ايام شهريا ومن لم يتمكن من ذلك دفع ستة اعشار تايل فضة شهريا .
واما الصناع المقيمون خارج العاصمة فيتعاقدون فى الخدمة ثلاثة اشهر فى كل ثلاث سنوات . ثم قررت الحكومة ان يدفع الصناع قدرا معيناً من الفضة بدلا من الخدمة فى العاصمة . وسمحت للصانع ان يصنع بعض المنتجات فى وقت الفراغ من الخدمة الرسمية ويبيعها فى السوق . فنشط الصناع عن ذى قبل وارتفع الانتاج ارتفاعا ملحوظا .

تعزيز الديكتاتورية الاقطاعية

بدأ اول الاباطرة مينغ تاي تسو (١٣٢٨ - ١٣٩٨) يركز السلطات فى قبضته بعد تأسيس اسرة مينغ . فعمل على الغاء وزارة المقاطعات وانشاء دوائر مسئولة عن الشؤون المدنية والمالية والقضائية والجيش فى المقاطعات . كما عزل رئيس الوزراء ووزع سلطاته على ستة وزراء اختارهم بنفسه وتولوا مسئولية الكوادر ، الشؤون المدنية ، تقديم القرابين والامتحان ، الجيش ، القضاء ، البناء والتعمير . وتولى قيادة الجيش الذى قسمه الى خمسة اقسام : القلب ، المقدمة ، المؤخرة ، الميمنة ، الميسرة ، كل منها مسئول عن قواته المراقبة فى امكنة محددة . وكانت مهمة وزارة الجيش تدريب الجنود وتوزيع قطعات الجيش

ولكن لم يكن لديها جيش ، اما القيادات العسكرية فلم تكن لديها صلاحيات في توزيع الجيوش ، الامر الذى ادى الى وجود تضارب بين الوزارة والقيادات . وكانت مقاليد السلطة كلها بيد الامبراطور .

وأسس الامبراطور قيادة عسكرية في المنطقة الغربية لتقوية ادارة الاقليات شرقى الصين ، حيث اقاموا دائرة للإرشاد في مدينة نورقان على الضفة الشرقية من المجرى الاسفل لنهر هيلونغ (على حدود الاتحاد السوفياتى ، حاليا) ١٤٠٩ ، ضمت مراكز انتشرت على مساحات شاسعة من نهر اونون غربا الى جزيرة سخالين شرقا ومن بحر اليابان جنوبا الى جبال شينغآن الكبرى شمالا . وظلت قوات الجيش ترابط في نورقان للدفاع عن امن الحدود وكذلك اقيمت محطات احداها انطلقت من نورقان الى بكين لبر شرق لياونينغ لنقل الرسائل الرسمية والضرائب والعطاءات من البلاط الامبراطورى .

وعندما اعتلى الامبراطور مينغ تشنغ نسو (١٣٦٠ - ١٤٢٤) ومينغ شيوان تسونغ عرش الحكم بعث كل منهما الى شى خا آخرين غير مرة لتفقد دائرة نورقان ، ورفعوا معبد (يولفتينغ) على ضفة نهر هيلونغ قرب نورقان بعد وصولهم ، وشيدوا نصيبين تذكاريين نقشت عليهما كلمات باللغات الهائية والنيويتشنية والمنولية والتبتية تصف احوال تأسيس دائرة نورقان وتفقد الموظفين لنورقان وجزيرة سخالين .

تعمير بكين والصور العظيم

انسحبت قوية المغول الى شمال الصور العظيم بعد سقوط حكومة يوان (١٢٧١ - ١٣٦٨) وحافظت الى حد ما ، على نفوذ حقيقى . وبعد ان تولى مينغ تشنغ تسو سلطة الحكم نقل عاصمة الدولة من ينجتيان (نانكين ، حاليا) الى بكين عام ١٤٢١ مستهدفا تعزيز القوة الحربية في شمال الصين . وبدأ مينغ تشنغ نسو عام ١٤١٧ يجمع الايدى العاملة وينفق الاموال الطائلة لتعزيز مدينة بكين . فتدفق الجنود والفلاحون والصناع من انحاء البلاد الى بكين للبناء والاعمار . وجلبت كميات هائلة من الاخشاب ، سطح الواحدة

حوالى مئتين ، والحجارة الضخمة والآجر والقراميد فى غاية الدقة ، فشيدت القصور الامبراطورية والسور المحيط ببكين فى مدة استغرقت حوالى خمسة عشر عاما .

كانت مدينة بكين ثلاثة اقسام مستطيلة الشكل كل قسم يتداخل فى الآخر . . . القسم الداخلى واطلق عليه اسم : (المدينة المحرمة) وهذا البناء الفخم الرائع تحول اليوم الى متحف القصر الامبراطورى والقسم الثانى المدينة الامبراطورية والحدائق الامبراطورية يحيط بها سور وخندق . والقسم الخارجى كان لعامة الشعب . طول الاسوار ٢٠ كم وكان بها بوابات تسع ، وتحترقها الطرق المعبدة . وارتفعت فيها المستودعات الواسعة وبرجان عاليان للطلل والجرس وبجنوبها الوحدات السكنية والمحال التجارية والمعابد والدواوين الحكومية . بدت المدينة متناسقة . . بنايات رائعة . واعتبر ذلك من الاعمال المعمارية الفذة .

واضافة الى ذلك بدأت حكومة مينغ فى اوائل تأسيسها السور العظيم شمال بكين وتوصل بعض اجزائه ببعض وقد استغرق ذلك مائتى سنة حتى امتد السور العظيم حوالى ٦٥٠٠ كيلومتر من نهريالو شرقا الى قلعة جيايوى ، مقاطعة قانسو غربا . ومازال البناء فى حالة سليمة حتى يومنا هذا . ويعتبر من الاعمال الهندسية العظيمة فى العالم .

نشوء الرأسمالية

ارتفع الانتاج الزراعى اكثر من السابق فى اواسط عهد أسرة مينغ . وعلى سبيل المثال ، ازدادت زراعة الارز فى منطقة خبى وتوسعت مساحات حصاد محصولين من الارز فى مناطق فوجيان وتشجيانغ وغيرهما ، وظهرت زراعة ثلاثة محاصيل فى العام بمنطقة لينغنان ، جنوب قوانغدونغ . ثم نقلت البطاطا الحلوة من لوزون فى الفلبين الى فوجيان فتمت اقلعتها فى سائر المناطق وعمت زراعة القطن انحاء البلاد وازدهرت تربية دود القز حتى ظهرت مساحات خضراء زرعت فيها شجيرات التوت وكذلك نقل التبغ ، موطنه الاصل فى القارة الامريكية ، من جزيرة لوزون الى الصين وعمت زراعته فى عديد من المناطق . هذا وقد شق ارتفاع الانتاج الزراعى طريقا الى تطور الحرف اليدوية .

تحسنت احوال الحرف اليدوية في اواسط عهد اسرة مينغ اكثر من السابق ، فاقيم معمل لصهر الحديد في تسونجها ، مقاطعة خبي آنذاك ، فيه فون علوه اربعة امتار وسمته طن واحد من المعادن ويعمل بقوة الريح ويحتاج ٤ - ٦ اشخاص لنفخ الكير عند صهر الحديد ، كما اقيم ٥٨ فرنا بإدارة الحكومة و ٩٠٠ فرن بإدارة الاشخاص لانتاج الخزفيات في بلدة جينغده ، مقاطعة جيانغشى ، والتي امتدت من الجنوب الى الشمال مسافة ٦ كيلومترات . وآنذاك ، انتجت خزفيات هائلة الكميات جيدة النوعية عديدة الاصناف وعمت حرفة الغزل والنسيج منطقة سوننجيانغ ، حيانغسو ، اريافا وبلدات وعرضت في السوق عشرة آلاف بى من المنسوجات القطنية يوميا كما شاعت اقوال مثل : (لا تقتضب الاقمشة القطنية ابدا من بلدة سوننجيانغ وكذلك الخيوط المغزولة من بلدة ويتانغ (بلدة ويتانغ بمحافظة جياشان ، مقاطعة تشجيانغ ، حاليا ، اشتهرت بانتاج الخيوط القطنية آنذاك) . وتميزت الاقمشة القطنية التي انتجتها بلدة سوننجيانغ بالدقة والمتانة ومنها اصناف ممتازة نسجت على صفحاتها رسوم مزهرة وكانت رائجة في السوق . كما كثرت المبيعات التجارية لارتفاع الانتاج الزراعى والحرف اليدوية وعرضت في السوق كميات هائلة من القطن ، الحرارر الخام ، التبغ ، الاقمشة القطنية ، الحرارر ، الورق ، الخزفيات ، الآلات الحديدية ، الغلال وما الى ذلك . وازدادت الى ذلك تم تشييد ٣٠ مدينة فخمة في انحاء البلاد اكثريتها جنوب نهر اليانغتسى وعلى سواحل البحر جنوب شرقى الصين وعلى امتداد القناة الكبيرة . مثلا ، كانت مدينة سوتشو وهانغتشو مشهورتين بصناعة الحرير وبلدة سوننجيانغ قلب صناعة الغزل والنسيج القطنى وبلدة جينغده مركز صناعة الخزفيات ومدينة تشنغلو مشهورة بسوق الشاى ومدينة وتشانغ بسوق الاخشاب ومدينة يانغتشو في ملتقى القناة الكبيرة ونهر اليانغتسى نقل اليها وخرج منها الملح وازدهرت فيها التجارة ازدهارا طيبا ، وخاصة ، كانت قوانتشو ، نينغبوه ، تشيوانتشو ، فوتشو مراىء رئيسية للتجارة الخارجية صدرت منها السلع الى اليابان وبلدان جنوب آسيا الشرقى .

واصبحت الفضة نقودا رائجة في اواخر عهد اسرة مينغ مع تطور التجارة داخليا وخارجيا .

نشأت العلاقات الرأسمالية شيئا فشيئا جنوب نهر اليانغتسى في اواسط واواخر اسرة مينغ . وعندما ازدهرت صناعة الحرير في مدينة سوتشو وظهرت فيها عوائل تعيش على نسج الحرائر استحوذ بعضها على كميات هائلة من الرأسمال ، وابتاعت احداها ٢٠ - ٤٠ نولا واستكرت عشرات العمال لانتاج الحرائر ، وكان في مدينة سوتشو آلاف الاشخاص اتقنوا فن صناعة الحرائر بعضهم اشتغل اجيرا لدى اصحاب الانوال وآخرون عملوا بالمياومة . فعمل اولئك العمال من طلوع النهار الى نزول الليل وكانت اجورهم تقدم لهم يوميا وان تعطل احد تنهم عن العمل تشرد جائعا . وأنداك استحوذ اصحاب الانوال على الوسائل الانتاجية واستثمروها في استغلال الكادحين فاصبحوا رأسماليين في فترة مبكرة كما كان الكادحون يعيشون من بيع جهودهم فاصبحوا عمالا صناعيين في فترة مبكرة ايضا . وهكذا ، احتل الاقتصاد الطبيعي المندمج بالزراعة والحرف اليدوية مكانة رئيسية في قطاع الاقتصاد ، على ان هذه العلاقات الانتاجية الرأسمالية كانت في حالة النشوء وتطورت تطورا بطيئا منذ ذلك الحين .

بعث الامبراطور مينغ شن تسونغ (١٥٧٣ - ١٦٢٠) كبار الموظفين الى تحصيل الضرائب في المدن والارياف . وكان احد الجباة قد وصل الى مدينة سوتشو عام ١٦٠١ فاقام مخاف لنهب الاموال لدى التجار والمسافرين واعلن : على كل نول ان يدفع ٣٠٠ تاييل فضة وثلاثة بالمائة من تاييل الفضة لكل بى من الحرائر ، فادى ذلك الى اغلاق ابواب المعامل وبطالة العمال الصناع الذين هرعوا بقيادة زعيمهم قه شيان وحاصروا ديوان الجبايا قتلوا محصل الجبايا فلما بلغ الخبر ذلك الجاى هرب خوفا وهلما . وأنداك ، نهض السكان في مدن ووتشانغ ، لينتشينغ ، كونمينغ ، شيان ، فوتشو ، وبلدة جينغده وغيرها وقاموا بالنيصال ضد الضرائب الباهظة حتى اجبرت حكومة مينغ على سحب الجباة من انحاء البلاد .

العلاقات الخارجية

اشتهرت الصين في اوائل عهد اسرة مينغ بالشراء والقوة في العالم فحج اليها السفراء والتجار الأجانب لأغراض مختلفة ، من بلاد عديدة .

رحلات تشنغ خه الى الغرب

أوفد الامبراطور مينغ تشنغ تسو (١٣٦٠ - ١٤٢٤) تشنغ خه ، خصى القصر ، (١٣٧١ - ١٤٣٥) كسفير الى البلدان في جنوب آسيا الشرقي والمحيط الهندي ، وساحل افريقيا ، مستهدفا تعزيز العلاقات الودية بين الصين وبين تلك البلدان .

الرحالة تشنغ خه ، له لقب آخر : سان باو ، ولد من عائلة مسلمة لقومية هوى بمنطقة يوننان . وعندما شب اختير خادما للامبراطور . رحل الى الغرب في مهمة رسمية عام ١٤٠٥ وقد رافقه ٢٨٧٠٠ من القادة والجنود والمتترجمين والتجار والملاحين والصناع والاطباء . اقلع الاسطول الذي ضم ٦٢ سفينة بهم وبكميات هائلة من الذهب والفضة والحرائر والخزفيات والآلات الحديدية والمنسوجات ، من مرفأ ليو جيا (نهر ليو خه ، بمحافظة تايتسانغ ، مقاطعة جيانفسو ، حاليا) ومخر عباب البحار . وكانت اكبر سفينة تتسع لألف شخص ويبلغ طولها ١٤٠ مترا وعرضها ٦٠ مترا وعلقت عل الصواري ١٢ شرعا . احتاجت ٢٠٠ - ٣٠٠ ملاح فاعتبرت اضخم سفينة حجما في العالم آنذاك . مخر اسطول السفن عباب البحر الشرقي والبحر الجنوبي فوصل الى مدينة تشابا (جنوب الفيتنام) ثم الى الموانئ في جنوب آسيا الشرقي وعلى سواحل المحيط الهندي .

بلغت رحلات تشنغ خه الى الغربت سبعا فيما بين عام ١٤٠٥ - ١٤٣٣

ووصل برجاله الى شبه جزيرة الهند الصينية وارخبيل الملايو والبنغال والهند بلاد فارس وشبه جزيرة العرب وكذلك الى سواحل شرق افريقيا والبحر الأحمر .
واينما وصل اسطول تشنغ خه لاقى ترحيبا حارا ، وكلما نزل ورجاله ببلد قدموا بعض الهدايا للملك والامراء تعبيرا عن نواياهم الطيبة ثم شرعوا يتاجرون مع الالهائى او الدوائر التجارية المحلية وتبادلوا السلع وكانوا عادلين في البيع والشراء وكانت السلع الصينية وخاصة الحرائر والخزفيات رائعة في كل مكان وازضافة الى ذلك اشترى الاحجار الكريمة واللآلئ والمرجان والعطريات والمنتجات المحلية . هذا وقد سمح لتشنغ خه ان يبنى مستودعا في بلاد ملقا في شبه جزيرة الملايو بعد الحصول على موافقة من الحاكم هناك ، لاستقبال السفن الصينية العائدة من البلدان الاخرى وترتيب وتعبئة السلع كيما تنطلق مرة اخرى عائدة الى الوطن عندما تهب ريح الجنوب في شهر مايو .

وكلما رجع اسطول تشنغ خه ورجاله الى الوطن صحبهم بعض الملوك او السفراء لزيارة الصين يحملون معهم بعض الحيوانات والطيور النادرة مثل النعامة والاسد وحمار الزرد والزرافة كهدايا للامبراطور الصينى الذى كان يقابلهم بحفاوة باللغة ويقدم لهم الهدايا الثمينة ، ثم يعودون في اسطول تشنغ خه الى اوطانهم . تغلب تشنغ خه ورجاله في رحلاتهم السبع على الكثير من الصعوبات والمشقات مظهرين مهارة عالية في الملاحة ومتحلين بالجرأة والشجاعة . ان رحلات تشنغ خه لى صفحة مشرقة في تاريخ الملاحة في العالم وهى اسبق بنصف قرن من الرحالة البرتغالى فاسكو دى جاما الذى ابحر في اواخر القرن الخامس عشر الى الهند من اوربا حول رأس الرجاء الصالح وسواحل شرق افريقيا وكذلك من الرحالة كولومبس الذى ابحر اول مرة من اوربا فوصل الى امريكا . وتلك الرحلات قد دفعت عجلة التبادل الاقتصادى والثقافى بين الصين وبين البلدان الافريقية والآسيوية وتميزت الصداقة بين الشعب الصينى وبين شعوب تلك البلدان .

مساهمات المغتربين الصينيين في تنمية جنوب آسيا الشرقى

بدأت اعداد قليلة من الصينيين ترحل الى جنوب آسيا الشرقى ، قبل عهد اسرة تانغ (٦١٨ - ٩٠٧) ، استوطنت هناك لكسب الرزق ، وعندما ابحر

تشنغ خه الى الغرب وجد عددا غير قليل منهم ينتشرون في شبه جزيرة الهند الصينية وسومطره وجاوه وكاليمنتان ولوزون وغيرها . ثم ازداد عدد الصينيين المسافرين الى جنوب آسيا الشرقى . وتذكر كتب التاريخ : بلغ عدد المغتربين الصينيين في جزيرة لوزون ٣٠ - ٤٠ الفا وفي جاوه ٢٠ - ٣٠ الفا ، وكان ذلك في اواخر عهد اسرة مينغ .

وعاش الصينيون والمحليون هنالك في سلام وشاركوا بعضا في العمل والبناء فاستصلح بعضهم الاراضى البور وزرعوا فيها قصب السكر والتوابل والشاى والارز وعمل آخرون في استخراج المعادن كالذهب والقصدير كما مارس البعض منهم مهنة الطب . وبكلمة اخرى ، بذل المغتربون الصينيون جهدا جهيدا لدفع هجرة الاقتصاد والثقافة الى الامام في جنوب آسيا الشرقى .

مطاردة القراصنة اليابانيين

تجمع المقاتلون والتجار والقراصنة بقيادة النبلاء الاقطاعيين بمنطقة كيوشو اليابانية في اواخر عهد اسرة يوان وانقسموا الى فئات مختلفة احداها انتسب اليها عشرات او مئات من الاشخاص ونزلوا بمناطق الصين الساحلية لاثارة الفتن والفوضى حاملين السلاح والسلع فكلما سنحت لهم الفرصة سفكوا الدماء ومارسوا اعمال السلب والنهب والحرق ومع ذلك عرضوا السلع وهم بازياء التجار في السوق ، لذا سماهم الناس (القراصنة اليابانيين) .

في اوائل عهد اسرة مينغ اهتمت الحكومة بحماية المناطق الساحلية فحشدت القوات وهزمت القراصنة اليابانيين غير مرة عبر معارك عنيفة . ثم اشتد ساعد القراصنة في اواسط عهد اسرة مينغ . وبالإضافة الى ذلك ، تأمر ملاك الاراضى والتجار في منطقتي تشجيانغ وفوجيان آنذاك بالتواطؤ مع القراصنة اليابانيين وشاركوهم في القتل والنهب حتى تعرض السكان على امتدا السواحل لخسائر فادحة .

ثم في عام ١٥٣٣ قام القراصنة اليابانيون باغراء الخونة من التجار على ظهور السفن الحربية ونزلوا بمنطقتي جيانغسو وتشجيانغ حتى اجتاحت

المأساة مساحات واسعة . وأنداك أصبح عدد القراصنة اليابانيين لا يحصى حتى وصل البعض منهم الى مدينتي يينغتيان (نانكين ، حاليا) هويتشو (محافظة شيشيان ، (٢١٨ - ٩٠٧) ، استوطنت هناك لكسب الرزق ، وعندما ابهر تشنغ ليه الى الغرب وجد عددا غير قليل منهم ينتشرون في شبه جزيرة الهند الصينية وسومطرة وجاوه وكاليمنتان ولوزون وغيرها . ثم ازداد عدد الصينيين المبحرين الى جنوب آسيا الشرقى . وتذكر كتب تاريخ : بلغ عدد المقتربين الصينيين في جزيرة لوزون ٣٠ - ٤٠ الفا وفي جاوه ٢٠ - ٣٠ الفا ، وكان ذلك في اواخر عهد اسرة مينغ .

وعاش الصينيون والمحليون هنالك في سلام وشاركوا بعضا في العمل والبناء فاستصلح بعضهم الاراضى البور وزرعوا فيها قصب السكر والتوابل والشاي والارز وعمل آخرون في استخراج المعادن كالذهب والقصدير كما مارس البعض منهم مهنة الطب . وبكلمة اخرى ، بذل المغتربون الصينيون جهدا شيشيان ، مقاطعة آنهوى ، حاليا (وايضا وصلوا ذبحوا الانفس ونهبوا الاموال) . وفى ذلك الوقت ، نهض الأهالى لمجابهة القراصنة وخرجوا جماعة فجماعة للدفاع عن بيوتهم بينما بعثت حكومة مينغ القوات العسكرية والقواد المشاهير الى اباداة القراصنة في تلك المنطقة الساحلية .

تشى جى قوانغ (١٥٢٨ - ١٥٨٧) قائد الجيش بعثته حكومة مينغ وكان يناهز ٣٠ سنة من عمره لمواجهة القراصنة شرق تشجيانغ . فايشأ قوة عسكرية منها ثلاثة آلاف من الفلاحين وعمال المناجم ودرهم تدريبا عليها ووضع لهم قواعد للانضباط العسكرية ياتزمون بها : عند سماع صوت الطبل يتقدم الجندى الى الامام ولو كانت المياه والنيران امامه . ويتراجع فورا حين سماع صوت الصنوج ولو كانت أكرام الذهب والفضة منشورة في الطريق . ازداد رجال الجيش وبلغ عددهم اكثر من ٢٠ الفا وكانوا يقاتلون العدو ببسالة ويتقيدون بالانضباط العسكرية على نحو افضل حتى اطلق عليهم الناس : (جيش عائلة تشى) . دارت رحى الحرب وجرت معارك عنيفة بين القوات العسكرية بقيادة تشى جى قوانغ وبين القراصنة اليابانيين وانتصرت الفئة الاولى تسع مرات قرب تاييتشو ، منطقة تشجيانغ عام ١٥٦١ واستأصلت جلور الفتنة هناك ثم دخل جيش عائلة تشى في منطقتي فوجيان وقوانغدونغ واصل شن الهجمات

على الغزاة بالتعاون مع القوات العسكرية بقيادة يوى دا يو القائد المناهض للقراصنة اليابانيين الذين ابعدوا عن بكرة ايهم على امتداد سواحل جنوب الصين الشرقى عام ١٥٦٥ .

الحرب لمساعدة كوريا

هيدويشى تويوتوى القائد اليابانى ، بعث عام ١٥٩٢ مائتى ألف جندى وعدة مئات من السفن الحربية لمهاجمة كوريا ، مستهدفا الاعتداء على الصين بعد احتلال كوريا . ونزل الغزاة بمدينة بوسان ، جنوب كوريا ، وواصلوا الزحف حتى استولوا على مدينتى سيول وبيونغ يانغ ولكن الشعب الكورى هب يقاوم الدخلاء .

وطلبت حكومة كوريا من حكومة مينغ معونات عسكرية عام ١٥٩٣ فبعثت حكومة مينغ القوات العسكرية بقيادة لى رو سونغ الى كوريا وشاركت جيوش كوريا فى توجيه ضربات قاتلة للغزاة اليابانيين ، واستعادتا المدينتين المحتلتين . ثم بعث القائد اليابانى المذكور سابقا ١٤٠ الفا من الغزاة اليابانيين عام ١٥٩٧ الى شن الهجمات على كوريا مرة ثانية فاشتركت قوات مينغ وجيوش كوريا فى صد الغزاة الذين انسحبوا الى قرب مدينة بوسان . وفى العام التالى ، اخذهم الارتباك والاضطراب فعادوا من حيث اتوا بسبب وفاة القائد التى ادت الى حدوث فتنة فى داخل اليابان . وأنداك ، خرجت القوات البحرية لأسرة مينغ وكوريا الى عرض البحر لاعتراض الاعداء الهاربين حيث دارت رحى الحرب بين الطرفين حتى كاد الغزاة اليابانيون يندثرون على يد القائد الصينى الشهير دنغ تسى لونغ الذى كان قد ناهز السبعين من عمره ولى شون تشن القائد الكورى الشهير حتى انتصرت الحرب لمساعدة كوريا انتصارا عظيما . والجدير بالذكر ان القائدين الصينى والكورى قد استشهدا عبر معارك عنيفة .

العلوم والثقافة

تقدمت العلوم والثقافة في الصين في أواسط عهد أسرة مينغ (١٣٦٨ - ١٦٤٤) متأثرة بتطور التجارة ونشوء الرأسمالية ، وتبع ذلك تطور الافكار ضد الاقطاعية التي اخذت شمسها في الأفول ، وبالتالي انعكس هذا الأمر على الثقافة آنذاك .

الكتب العلمية

ظهر في عهد أسرة مينغ ثلاثة كتب قيمة :

١ - كتاب « بن تساو قانغ مو » اى فهرست الاعشاب الطبية لمؤلفه : لي شي تشن (١٥١٨ - ١٥٩٣) الصيدلي الفذ : ولد بمنطقة تشيتشو (جنوب محافظة تشيتشون ، مقاطعة هوبى ، حاليا) وتعلم مهنة المداواة والتطبيب صغيرا على يد أبيه ، ولما صار في ريعان الشباب ، اخذ يتنقل في كل مكان لخدمة المرضى . وازافة الى ذلك ، انكب على دراسة الكتب الطبية والصيدلية فوجد فيها كثيرا من النواقص بل الاخطاء تحتاج الى التنقيح والتصحيح ، فعزم على تصنيف كتاب في الصيدلة .

وتجول لي شي تشن في احواض النهر الاصفر ونهر اليانغتسى . واپنما نزل اقتبس المعارف من الفلاحين المسنين والحطابين والصيدادين ومزارعي الاعشاب الطبية باذلا جهده في جمع الوصفات الطبية وعينات الاعشاب الطبية . واجتهد في القراءة والمطالعة والاستفسار والتأمل والحفظ . . . كان يرجع الى كميات هائلة من المجلدات والمخطوطات حتى انتهى الى اخراج الكتاب الصيدلي بعنوان : « بن تساو قانغ مو » عام ١٥٧٨ وقد استغرق منه ذلك ٢٧ سنة . يحتوى « بن تساو قانغ مو » على مليون وتسعمائة الف كلمة هائية موزعة على ٥٢ فصلا ، ويضم ١٨٠٠ صنف من العقاقير والادوية منها ٣٧٤ صنفا ذكرت لأول مرة وبقاهاها مذكورة في الكتب الصيدلية القديمة ، كل منها مدونة تفصيله : موقع الانتاج والشكل واللون والرائحة والقدرة على معالجة المرض .

ويضم الكتاب الى جانب ذلك ١١٠٠ صورة تبين هيئات العقائير وكذلك ١١٠٠٠ وصفة طبية قديمة او شائعة بين العوائل الشعبية . فاسهم الكتاب اسهامات كبرى في حماية صحة الاجيال . وفي الحقيقة ، لم يوجد كتاب صيدل مثل « بن تساو قانغ مو » من حيث دقة التنقيح ووفرة المضامين آنذاك ثم ترجم فور نشره الى لغات اجنبية عديدة فصار مرجعا هاما من مراجع العلم الطبيعى في العالم .

٢ - « الكتاب الكامل في الزراعة » لمؤلفه : شيوى قوانغ تشى (١٥٦٢ - ١٦٣٣) واسع المعرفة ، عاش في بلدة شانغهاى بمحافظة سونغجيانغ ، وكان يرغب في تعلم العلوم المتقدمة بالخارج . حينذاك ، اتى الصين متى ريتشى (١٥٥٢ - ١٦١٠) المبشر الايطالى وامثاله وكانوا يحملون معهم بعض الكتب العلمية فاشتغل شيوى بترجمتها الى اللغة الصينية ، هذا وقد لعبت الكتب المترجمة دورا كبيرا في تطوير العلوم والفنون آنذاك . فذكر المصنف في « الكتاب الكامل في الزراعة » نظريات زراعية وطرائق عديدة في غرس النباتات وصناعة الادوات الزراعية وتشبيد منشآت الري كما سجل طرائق غرس القطن والغزل والنسيج مشيرا الى انتشار فن غرس القطن في النحاء البلاد كلها آنذاك . وازافة الى ذلك دون منجزات تقنية جديدة مثل طريقة الري في اوربا فضلا عن منشآت الري عبر اجيال عديدة في الصين . وبالجمل ، يحمل الكتاب كثيرا من الشروح والتفاسير والصور في غاية الدقة .

٣ - كتاب « الابداع السماوى » لمؤلفه : سونغ ينج شينغ عالم مخضرم عاصر اسرتى مينغ وتشينغ (١٦٤٤ - ١٩١١) ، ولد في فنغشين ، مقاطعة جيانغشى ، وقد اتصل كثيرا بالشعب للاستقصاء العلمى وامعن عن كتب في دراسة الزراعة والمهن الحرفية وفن الانتاج ، فاكمل كتاب : « الابداع السماوى » عام ١٦٣٧ ، وهو يلخص فن الانتاج في عهد اسرة مينغ . والكتاب من ثلاثة ابواب تشتمل على ١٨ فصلا ، يتحدث عن التجارب الانتاجية لدى الفلاحين مركزا على وصف المهن الحرفية مثل الغزل والنسيج وصناعة الملح وعصر الزيت وصناعة الخزفيات واستخراج الفحم وتعدين النحاس والحديد وصناعة الحراب والبارود وغيرها . والجدير بالذكر ان المصنف يذكر بدقة عمليات انتاج كل مهنة من المادة الخام حتى المنتجات الجاهزة وكذلك التخصصات

في المهن . هذا ويكس الكتاب ملامح المعامل الحرفية في ذلك العهد ، وبالإضافة الى ذلك في طيات الكتاب صور مرفقة بالمقالات . والكتاب ذخيرة قيمة يرجع اليها الباحثون في احوال الانتاج الاجتماعي وترجم الى اللغات اليابانية والفرنسية والانجليزية وغيرها حتى اسماه الناس الموسوعة الصينية المهن الحرفية في القرن السابع عشر .

المفكرون

لى تشى (١٥٢٧ - ١٦٠٢) مفكر تقدمى في اواخر عهد أسرة مينغ ، مسقط رأسه في محافظة جينجيانغ ، مقاطعة فوجيان ، وقد ناهض الفلسفة والمبادئ الاخلاقية والفضائل والمكارم الاقطاعية ، يقول : يتكلم علماء الفلسفة الاخلاقية بما ليس في قلوبهم ولا هم لهم سوى الجاه والمال ويلفظون بكلمات البر والكرم وهم في الواقع اشرار وانهم لمن الفاسقين ! كما فند آراء كونفوشيوس (٥٥١ - ٤٧٩ ق . م) ومنشيوس (٣٩٠ - ٣٠٥ ق . م) بشدة ، فارتأى ان فلسفتهما الاقطاعية لاتصلح اليوم لقياس نعم ام لا ، والى جانب ذلك دعا الى المساواة بين الرجل والمرأة مناهضاً الزعم القائل : الرجل متفوق على المرأة . وقال : ليست المرأة اقل فهما من الرجل ابداً . هذا وقد وجه لى تشى نقداً ودحضا للفلسفة الاقطاعية حول المبادئ الاخلاقية والفضائل والمكارم فنظر اليه الحكام نظرة مختلفة واخذوا يعاملونه معاملة « الطوفان والحيوان المفترس » حتى تعرض للشمع والاضطهاد وادخل في السجن وهو في الـ ٧٥ من عمره ثم واهاه اسبلة في زنزانته .

هوانغ تسونج شى (١٦١٠ - ١٦٩٥) : مفكر تقدمى مخضرم بين اسرى مينغ وتشينغ ، مسقط رأسه محافظة يويياو ، مقاطعة تشجيانغ ، شارك في الكفاح ضد أسرة تشينغ وهو في مقتبل عمره . وبعد ذلك ، تعرض لغير مرة للمطاردة من قبل حكومة تشينغ ثم استقر في مسقط رأسه زاهداً عن الدنيا واخذ في تصنيف الكتب التى فند فيها بدون رحمة نظام الديكتاتورية الاقطاعية . فقال : كل امبراطور يخطف سلطة الحكم لابل ان يسفك الدماء بقسوة . وعقب ان يحتل عرش الحكم يشتد في النهب والاستغلال وتفريق العوائل كيما يعيش في البذخ والترف . لذا لامر من ظهور المأسى من الحكم الديكورى الامبراطورى .

وعندما لا يهتم الامبراطور بالشعب تطفو العداوة طبعاً بينه وبينهم . وعلى الوزير ألا يخلص لسيده . اشار هوانغ تسوتغ شى انه ربما لا يكون سديدا حكم الامبراطور وقد لا يكون مخطئاً من حكم عليه الامبراطور بالخطأ ، فيحق للشعب ان يحكم بنعم او لا . اما القانون الذى يضعه الحاكم فهو صالح لمائلته لا للمواطنين . لذا وجب عليهم ان يضعوا لانفسهم قانونا يعم البلاد بدلا من القانون الخاص بالمائلة الملكية وحدها . هذا وكانت آراؤه السياسية تستهدف تطبيق افكار اهل الفضيلة من الطبقة المستغلة (بكسر الفين) لذا اصبحت مثيرة فى الثورة الديمقراطية البورجوازية من بعد .

وانغ فو تشى (١٦١٩ - ١٦٩٢) ، ولد فى هونغيانغ ، مقاطعة هونان ، وهو مفكر مادى عاش فى الفترة بين اواخر مينغ واوائل تشينغ . وقد عمل على تعبئة اهل مسقط رأسه فى الكفاح المسلح ضد اسرة تشينغ ، فى مقتبل عمره ، لكنه انتهى الى الفشل فشود فى كل مكان وقضى عشرات السنين فى ظروف صعبة ثم لجأ الى جبل شيتشوان قرب هونغيانغ واستقر فى كوخ بسفح الجبل وهو فى شيخوخته واشتغل بتصنيف الكتب العلمية فاطلق عليه الخلف اسم « السيد تشوان شان » . ورث وانغ فو تشى تقاليد طيبة من علماء المادية مثل وانغ يون وامثاله مفندا للفلسفة الاخلاقية المثالية . فارتأى ان العالم يتكون من المادة ولم يخلقه احد . الوعى يأتى من المادة ولا يعمش من غيرها ، كما ان المعرفة تأتى من الاشياء الموضوعية وهى مستقلة عن الوعى الذاتى . لا يمكن لا احد ان ينكر وجود الجبل لانه لا يواه ، لان الجبل موجود فعلا من الناحية الموضوعية — على حد تعبير وانغ فو تشى . المعرفة تأتى من الممارسة ولكنها لا يمكن ان تحل محل الممارسة : لا يمكنك ان تتعلم لعب الشطرنج بالاكتفاء بقراءة كراسى الشطرنج بل وجب اللعب مع الآخرين واستيعابه تدريجيا .

الروايات

ظهرت الروايات والقصص فى الصين فيما بين القرن الثالث — القرن السادس فى عهود اسرتى وى وجين والاسر الجنوبية والشمالية . فى عهد اسرة تانغ

(٦١٨ - ٩٠٧) ازدهر الادب فظهرت الروايات الرائعة القصيرة نسبيا ثم ظهر الحوار بلغة واضحة بسيطة في عهد اسرة سونغ (٩٦٠ - ١٢٧٩) والحوار هو الاصل الذي يعتمد عليه الرواة في الروايات والقصص . ثم بدأ الادباء في اواخر يونان (١٢٧١ - ١٣٦٨) واول ملينغ يعملون الى تصنيف الروايات بلغة واضحة بسيطة حتى اتموا تصنيف الروايات الممتازة ، طويلة وقصيرة ، فراج الفن الروائي واحتلت الآداب وضعا افضل من غيرها . وكان اشهر الروايات : «قصة الممالك الثلاث» و« على ضفة البحيرة» و« الرحلة الى الغرب » والتي انتشرت في الاوساط الشعبية . له قوان تشونغ (حوالي ١٣٣٠ - ١٤٠٠) روائي عاش في اواخر اسرة يونان واول ملينغ . ولد بمدينة تاييوان ، مقاطعة شانشى ، وهو صاحب «قصة الممالك الثلاث» وموضوعها مستقى من الحكايات التي شاعت منذ عهود اسرتي تانغ وسونغ عن الممالك الثلاث التي ظهرت في القرن الثالث الميلادي . وهي عمل ادبي يشمل سلسلة من القصص التاريخية بداية من انتفاضة ذوى الرباطات الصفر في اواخر اسرة هان الشرقية (٢٥ - ١٢٠) الى اسرة جين الغربية (٢٦٥ - ٣١٦) ، وتصور الصراعات العسكرية والسياسية فيما بين طغمان وى ، شو ، وو الاقطاعية وكذلك تعكس قسوة الطبقات الحاكمة وآلام المتشردين وانتفاضة الفلاحين في ذلك المجتمع . ولم يزود المصنف اجيالا عديدة من القراء بالمعرفة التاريخية وتجارب الصراعات العسكرية والسياسية فحسب ، بل اصطنع نماذج من الابطال المتحليين بالاخلاق المختلفة ، مثل تشو قه لياونغ رئيس الوزراء لدويلة شو حاذق وواسع الحيلة ، وتشانغ في القائد الشهير شجاع وسخي ، وقوان يوى صامد وشجاع وتشو يوى المارشال الشاب لدويلة وو ذكى وطموح ، وتساو تساو رجل سياسى لدويلة وى ماهر في الدهاء والمكر . والحكايات لا تتطابق تماما الحقائق التاريخية آنذاك غير انها حيوية ومشيرة بصورة لا متناهية حتى ان الناس يرددونها الى يومنا هذا .

شى نلى آن ، روائي ، عاش في اواخر اسرة يونان واول ملينغ ، اخرج رواية (على ضفة البحيرة) وفقا للقصص الرائجة عن انتفاضة الفلاحين الذين اتخذوا من جبل لياونشان قاعدة لهم ، وهذا الادبي يصف عمليات نشو وتطور وفشل انتفاضة الفلاحين بقيادة الزعيم سونغ جيانغ بينما يكشف التناقضات في المجتمع الاقطاعي ويشي على معنويات الفلاحين في الكفاح المسلح . ويحكى للقراء

سلسلة من قصص الكفاحات التي كان يخوضها الابطال الفلاحون مثل : البطل وو سونغ الذى يصارع النمر ويفتك به بسفح جبل جينغيانغ وقوات الانتفاضة التى شنت هجمات على قرية تشوجيا حتى دخلتها بعد استطلاع الطرق المتعرجة فى القرية . . وهذه الحكايات حيوية على ان هذا العمل الادبى يعكس فكر المصنف المخلص للباطرة .

وو تشنغ ان (حوالى ١٥٠٠ - حوالى ١٥٨٢) روائى فى عهد اسرة مينغ ، مسقط رأسه فى شانيانغ (محافظة هوايان ، مقاطعة جيانغسو ، حاليا) ابدع رواية طويلة اسطورية بعنوان : « الرحلة الى الغرب » استمد موضوعها من الحكايات المنتشرة بين الشعب عن البوذى شيوان تسانغ فى عهد اسرة تانغ الذى رحل الى تعلم البوذية ونقل الكتب البوذية من الهند . ورواية « الرحلة الى الغرب » تتحدث عن اربعة ابطال ، شيوان تسانغ ، سون وو كونغ ، تشو با جيه ، شاسنغ ، وصلوا الى الهند لنقل الكتابات البوذية متغلبين على الصعوبات والمشاق ومتصرين على الشياطين والمفاريت والغيلان . ويصف المؤلف فى عمله العظيم سون وو كونغ كقرود حى اثار الفتنة فى القصر السماوى وقصر الملك التنين وجهنم دون مبالاة بالسلطات الحاكمة فى عالم الشياطين والجان . وهو ماهر فى معرفة الشياطين والجان والمفاريت والسحرة وقد هزمهم بالحيل والدهاء مثل الجنية العظمية البيضاء التى تنكرت على شكل بوذا الرحيم والحجوز والشيخ ، تقصد بذلك ان تمخض شيوان تسانغ ، على ان القرود قد تبين حقيقتها فوجه اوته اللامبية عليها فتحولت الى جثة عظيمة فى ضربته الثالثة لها . وعلى اية حال ، تدعو الرواية الى الديمقراطية تكشف مهارات بوذا اللامحدودة كما تبين جزاء الاحسان والاساءة .

نهوض قومية مانتشو والانتفاضة الفلاحية

دام

حكم اسرة مينغ في الصين ٢٧٦ سنة ، من ١٣٦٨ الى ١٦٤٤ . لقد عم الفساد والجور والمآسى ، في هذا العهد ، النحاء البلاد اضافة الى الكوارث الطبيعية المتتالية التى نكب بها الفلاحون في اواخر اسرة مينغ ، مما ادى الى اندلاع انتفاضة فلاحية وتأسيس سلطة الفلاحين ، على ان ثمار النصر خطفتها القوات المسلحة بقيادة قومية مانتشو ومن ثم بدأت صفحات اسرة تشينغ في التاريخ الصينى .

نهوض قومية مانتشو

قومية مانتشو تمود في اصولها الى قبائل نيويشن شمال شرقى الصين وانشرت في اوائل اسرة مينغ في احواض انهار هيلونغ وسوننهوا ومودان وسيوفن على حدود دائرة نورقان . في البدء ، نشأت العلاقات التجارية بين قومية هان وقبائل نيويشن فكانت الاولى تزود الاخيرة بالادوات الحديدية والفلال والملح والمنسوجات الحريرية في مقابل الخيول وجلد السمور وتبات الجنس الطبى والدرر وغيرها . ثم تطور الانتاج تدريجيا في قبائل نيويشن بناء على اساس اجادتهم فن صهر الحديد في اواخر القرن السادس عشر . وكانت نيويشن آنذاك في مرحلة المجتمع العبودى . وما اكثر ما دارت رحى الحروب الضارية فيما بين زعماء القبائل وما اكثر ما جرى من اعمال الخطف والنهب والسلب .

اتحدت قبائل نيويشن على يد نور هاتشى (١٥٥٩ - ١٦٢٦) القائد العام للجيش المربط بولاية جيانتشو (بحدود محافظة شينين ، مقاطعة لياونينغ ، حاليا) ، ابتداء من عام ١٥٨٣ ، بعد محاولات دامت ثلاثين سنة . وقد نظم الجيش والسكان في ألوية ثمانية ، يضم كل لواء عديدا من نيولو (وحدة قاعدية) ، وكل نيولو من ٣٠٠ شخص . وذكرت السجلات التاريخية : « افراد اللوام محاربون ومدنيون » . معناه : اذا وقعت الحرب خرجوا للقتال واذا توقفت

انصرفوا للصيد والزراعة . وفي الحقيقة ، كان نظام الأولوية الثمانية يجمع بين الحرب والسياسة ، وقد لعب دورا هاما في توطيد الصلات والواصر فيما بين القبائل . ثم نصب نور هاتشي نفسه « خان » عام ١٦١٦ (اعتادت الاقليات القومية في شمال الصين تسمية حكامها بلقب خان منذ قديم الزمان) واتم تأسيس سلطة الحكم واسماها دولة جين ، متخذة من هاتوآلا (مدينة قديمة غرب محافظة شينبين ، مقاطعة لياونينغ ، حاليا) عاصمة له . ويتحدث بعض المؤرخين الصينيين عن تكوين قومية مانتشو قائلين بأن سلطات ملاك العبيد اعلى الهيئات السلطانية ظهرت في اواخر اسرة جين ، وهذا قد يرشدنا الى معرفة تشكيل قومية مانتشو .

كان نور هاتشي على رأس الجيش يشن هجمات على جيش مينغ شرق لياونينغ ، ابتداء من عام ١٦١٨ فاستولى على مساحات شاسعة من حوض نهر لياونخه ونقل عاصمة دولته الى مدينة شيانغ . ولما اعتلى ابنه هوانغ تاي جى (١٥٩٢ - ١٦٤٣) ابنه هوانغ تاي جى (١٥٩٢ - ١٦٤٣) عرش الحكم بعد وفاته ابدل اسم قومية نيويشن بقومية مانتشو ونصب نفسه امبراطورا عام ١٦٣٦ واسمى دولته تشينغ . وقد ضم هوانغ تاي جى (تشينغ تاي تسونغ) منطقة شمال شرقي الصين تدريجيا .

وتحول النظام المبودى الى النظام الاقطاعى فى قومية مانتشو بصورة شديدة بعد دخولها فى لياونينغ . وقد سخر الحكام الأسرى والرعايا فى اعمال الزراعة لخدمة للامبراطور والنبلاء . وبذلك نشأ نظام الرق الزراعى الاقطاعى . وعندما تولى تشينغ تاي تسونغ سلطة الحكم سيطرت قوات تشينغ المسلحة على اجزاء منغوليا الداخلية واخذت تشن هجمات على جنوب السور العظيم غير مرة حتى حاق الخطر باسرة مينغ من كل جانب .

الحكم الفاسد واحتكار الاراضى فى اواخر اسرة مينغ

مع فساد الحكم الاقطاعى انحاء البلاد فى اواخر اسرة مينغ . فقلما اهتم الامبراطور بشئون الدولة . ولم يقابل الامبراطور مينغ شن تسونغ (١٥٦٣ - ١٦٢٠) الوزراء زهاء عشرين سنة بل كان يكلف خصيان القصر

بمعالجة الشؤون الادارية وعندما اعتلى الامبراطور مينغ شى تسونغ (١٦٠٥ - ١٦٢٧) عرش الحكم ، امسك وى تشونغ شيان كبير خصيان القصر بسلطة الحكم فى قبضته ، وكان متعصبا يسعى وراء المصلحة الشخصية ويقبل الرشوة ولا يتورع عن فعل اى شئ حتى اخذ الوزراء والنبلاء يدورون فى فلكه ، وكان بدوره يتبناهم ففرق هو واتباعه فى الفساد والفسق وبالتالي استعبدوا الشعب استعبادا فظيما . وازضافة الى ذلك ، نشر وى تشونغ شيان عيونه فى جميع انحاء البلاد لمراقبة الموظفين المخلصين وكبت مشاعر الشعب التى فاض بها الكيل ضد الطغاة . فاذا أظهر احد تبرمه تعرض فى الحال للقمع الى درجة يسلم جلداه ويهتر لسانه . ولما كان هذا الاستغلال وذلك الاضطهاد فى غاية القسوة والشناعة اصبح الجرم الغفير من الشعب على فوهة بركان ثائر . هذا ولانسى ان طبقة ملاك الاراضى قد نهبت مساحات شاسعة من الحقول من الفلاحين الفقراء ، وقد بلغ نهب ومصادرة الاراضى حدا مذهلا فى اواخر اسرة مينغ حيث منح الامبراطور مساحات هائلة لمن شاء من النبلاء والوزراء وخصيان القصر . فقد ورد فى الكتب التاريخية ان الامبراطور مينغ شن تسونغ قد منح ابنه لامير تشو تشانغ شيون ١٣٠ الف هكتار من الحقول دفعة واحدة ، بينما كان ملاك الاراضى والنبلاء ينتزعون مساحات هائلة من الحقول من الفلاحين حتى فقدت تسعون بالمائة من الموائل اراضيتها على امتداد وادى بحيرة تايهو جنوب الصين ، واضطرت اكثرية الفلاحين الى استئجار الارض من ملاك الاراضى فى مقابل اجور باهظة وفجأة اعلنت حكومة مينغ عن زيادة جسمى الضرائب لجميع الحقول بعلية او خصبة ، ذات دخل او بدون دخل ، وذلك من اجل محاربة اسرة جين . وفى الحال ، فرض ملاك الاراضى الاعباء الثقيلة على الفلاحين حتى ما كان بمقدورهم ابدا تأدية الضرائب والغلال للامبراطور .

الانتفاضة الفلاحية شمال شنشى

لقد نزلت بشمال شنشى الكوارث الطبيعية المتتالية فى اواخر اسرة مينغ فاقتات الفلاحون المشب ولحاء الشجر حتى مساحيق الصخور البيضاء تجرعوها ، وازضافة الى ذلك كانت الحكومات المحلية تجبر الفلاحين تحت السياط على

اداء اجور الارض ، فاعاش الفلاحون عيشة لا تطاق حتى نهضوا بمحافظة تشنشنغ عام ١٦٢٧ رافعين راية التمرد ، وفي العام التالي تبعهم امثالهم في كل انحاء شنشى فامتدت الانتفاضة الفلاحية من شنشى الى شرق مقاطعة قانسو بصورة سريعة وظهرت منها فئات عديدة من القوات المسلحة بقيادة الزعماء المشاهير : قاو ينغ شيانغ (؟ - ١٦٣٦) ، لى تسي تشنغ (١٦٠٦ - ١٦٤٥) ، تشانغ شيان تشونغ (١٦٠٦ - ١٦٤٦) .

لى تسي تشنغ : ولد لعائلة فلاح بمحافظة ميتشى ، مقاطعة شنشى ، وعمل صنيرا على رعي المواشى لمالك الارض ، وكثيرا ما تعرض للجلد على ظهره بالسياط اللاسعة ، فلما بلغ اشداه اشتغل خادما بمركز يتشون للبريد من نفس المحافظة . وذات مرة اصدر رئيس المحافظة اوامره بالقاء القبض عليه وحكم عليه بالسير في الشوارع والنير على عنقه ، لمعجزه عن تسديد القروض الى الوجهه القروى ووضع في السجن . ففر من السجن والتحق بجيش مينغ ثم بقوات الانتفاضة بقيادة قاو ينغ شيانغ . وكان لى تسي تشنغ جلدا صبوراً تحمل الفقر والبؤس والتشوش ، وكان شجاعا مقداما سبق الآخرين في القتال فاحبه الاهالى والمحاربون من الفلاحين .

وصلت قوات الانتفاضة بقيادة قاو مقاطعات خنان ، هوبى ، سيتشوان وشنشى فحشدت حكومة مينغ الحشود لمجابهة المتمردين وضربت عليهم حصارا بمنطقة الصين الوسطى ، مستهدفة ابادتهم دفعة واحدة وبضربة واحدة . فاجتمع زعماء ١٣ مجموعة من قوات الانتفاضة في محافظة شينغيانغ مقاطعة خنان ، في الشهر القمري الاول عام ١٦٣٥ للتداول في كيفية مجابهة جيش مينغ الحكومى ، واخذوا ما اقترحه لى تسي تشنغ بأن تتحد الفئات لمجابهة العدو في جهات الغرب والجنوب والشمال وتوجه قواتهم الرئيسية الى الشرق ، النقطة الضعيفة للعدو . ثم اخترقت القوات الرئيسية بقيادة قاو ، لى ، تشانغ الخط الشرقى للعدو وتوجهت للاستيلاء على محافظة فنغيانغ ، مقاطعة آنهوى ، مسقط رأس اباطرة مينغ ، وقد قطعت مسافة خمسمائة كيلومتر وهدمت قبور آبائهم ، ثم نجحت في تحطيم خطة الابادة والتلويق للجيش الحكومى . وبعد ذلك وقع قاو ينغ شيانغ اسير بيد العدو عبر معركة عنيفة واستشهد عام ١٦٣٦ . فنصبت قوات الانتفاضة

لى تسى تشنغ قائدا لها واطلقت عليه لقب الملك المغوار ، ثم انقسمت قوات الانتفاضة الى فئتين ، احدهما انتقلت بقيادة لى الى مقاطعات شنشى وقانسو وسيتشوان وهوبى وخنان ، والاخرى توجهت بقيادة تشانغ شيان تشونغ الى مقاطعات هوبى وسيتشوان وغيرهما .

تأسيس سلطنة الفلاحين

دخلت قوات الانتفاضة بقيادة لى تسى تشنغ مقاطعة خنان عام ١٦٤٠ . وأثناء ذلك ، نزلت كوارث القحط والجراد بمنطقة الصين الوسطى وابتقت حكومة مينغ نظام ضرائب وتحصيل الغلال على ما كان عليه . وازضافة الى ذلك ، فرضت على الفلاحين ضرائب عديدة مثل « ضريبة اباداة اللصوص » و« ضريبة التدريب العسكرى » حتى زادت الضرائب الاجمالية على الدخل السنوى لحكومة لينغ . بيد ان قوات الانتفاضة رفعت شعار « توزيع الحقول بالمساواة واعفاء المزارعين من الضرائب » . وورد فى كتب التاريخ الصينى ان هذا الشعار يرمز الى تطور الحرب الفلاحية فى المجتمع الاقطاعى الصينى الى مرحلة جديدة داعيا الى الغاء ملكية الاراضى الاقطاعية . فلاقى هذا الشعار الذى قدمه لى تسى تشنغ قبولا حاراً من قبل الجماهير الفقيرة فى المدن والارياف ، حتى اخذ الناس يرددون : « لنفتح الابواب لاستقبال الملك المغوار ولنرتع جميعا فى الارض بحرية » . فالتحق بقوات الانتفاضة الفلاحون والفقراء واصحاب المهن اليدوية فى المدن وناهب عددهم مليون شخص .

استولت قوات الانتفاضة بقيادة لى تسى تشنغ على مدينة لويانغ ، مقاطعة خنان عام ١٦٤١ ، وحكمت باعدام تشو تشانغ شيون ابن الامبراطور ، كما صادرت ما لا يحصى من الغلال والذهب والفضة لدى النبلاء والموائل الغنية ووزعتها على الفلاحين الفقراء .

وانتصرت قوات الانتفاضة انتصارات كبرى فى خنان وانتهت الى السيطرة على مقاطعة خنان واجزاء من مقاطعة هوبى . واسس لى تسى تشنغ سلطة الحكم بمدينة شيانغيانغ ، مقاطعة هوبى ، واطلق عليه الناس ملك شنشون وكان ذلك عام ١٦٤٣ . ثم دعا القواد العسكريين الى التداول حول السياسة الاستراتيجية :

الاستيلاء على منطقة شنشى الوسطى كقاعدة ثم العبور من شانشى الى بكين عاصمة مينغ . فدارت رحى الحرب بين جيش مينغ الحكومى وبين قوات الانتفاضة غرب مقاطعة خنان وقرب مدينة شيانغتشونغ ، مقاطعة هوبى ، واصيب جيش مينغ بضربات قاتلة حتى استنفدت قواه القتالية . وفى الحال ، انتهزت قوات الانتفاضة تلك الفرصة لتشن هجمات على منطقة شنشى الوسطى حتى استولت عليها وسيطرت على قانسو ولينغشيا ، وما ان هلت السنة الجديدة ، سمى لى تسى تشنغ شيان بشيچينغ العاصمة الغربية واقام دولة داشون ولقب تلك السنة بسنة يونغتشانغ الاولى .

الهجوم على بكين والاطاحة باسرة مينغ

تقدمت قوات الانتفاضة بقيادة لى تسى تشنغ وليو تسونغ مين القائد العام المنحدر من عائلة حداد والقواد العسكريين الى بكين عاصمة مينغ ، منطقة من شيان . فاينما وصلت ساعدت الفلاحين الفقراء على استعادة الحقول الزراعية اليهم معلنة : « اعفاء المزارعين عن الضرائب والغلال خمس سنوات » ، وقد بذل لى تسى تشنغ جهدا جهيدا فى تهذيب المحاربين وتعزيز الانضباط العسكرية وكذلك نهى عن اخفاء الذهب والفضة والاستيطان فى بيوت السكان ووطء النباتات الخضراء وسفك الدماء بغير حق ، كما حدد نظما تجارية عادلة . ثم واصلت قوات الانتفاضة تقدمها الى الامام بعد الاستيلاء على مدينة تايبوان ، مقاطعة شانشى ، فاستسلم لها جيش مينغ رافعا الرايات البيض . ثم هذا فى الوقت الذى نهض فيه السكان اطماردة الموظفين الفاسدين ، وخرجوا لاستقبال قوات الانتفاضة حاملين اطباق اللحوم والنيبذ . فتوفقت قوات الانتفاضة فى عبور مدن داتونغ ، شيوانهوا حتى دخلت قلعة جيوبيونغ وانتهت من ضرب حصار على بكين ، فاستسلم حراس بكين كليا ، وفى الحال ، هرب امبراطور مينغ الاخير الى خلف القصور وانتحر على شجرة بسفح تلة ميشان (حديقة جينغشان ، حاليا) وهكذا نجحت الثورة الفلاحية فى الاطاحة بحكم مينغ الرجعى . وقد وجه لى تسى تشنغ اوامره لجيش الانتفاضة ان يدخل بكين فى صفوف

منسقة يوم ١٩ من الشهر الثالث القمري ، فخرج اهل بكين الى استقباله بعد ان زينوا البنايات بأشرطة ملونة واشعلوا القناديل الحمر ليلا . وفي الظهر دخل المدينة لى تسي تشنغ عبر بوابة الانتصار من جهة الشمال وهو يمتطى حصانا ادهم ويرتدى لباسا اسود من القماش القطنى وعلى رأسه قبعة صفوية ، تحيط به كتيبة من الفرسان الاقوياء ، بينما وقف على جوانب الشوارع بحر من البشر لامتثال الملك المنوار وقد رجفت الارض بصدى الهتاف والتحيات الى ان عبر لى ذلك البحر الهائج فرحا ودخل المدينة المحرمة .

عملت قوات الانتفاضة ببكين على قمع النبلاء وملاك الاراضى ومصادرة ممتلكاتهم كليا واجبرت بعضهم على اعادة الاتاوات التى حصلوها ، وبذا تحطمت غطرسة الظالمين وابتهج المظلومون رافعين رؤوسهم .

لكن حفنة من فلول اسرة مينغ واصلت المقاومة بعناد بينما كانت قوات تشينغ المسلحة شمال شرقى الصين على اهبة الاستعداد لشن الهجمات على قلعة شانهايقوان كيما تتقدم الى الجنوب . وأذذاك ، أنشئت رؤوس قواد جيش الفلاحين بالانتصار المؤقت واصابتهم الكبرياء والغطرسة وغفلوا عن خطورة الأمر . وبعد مدة قصيرة استسلم ووسان قوى قائد مينغ المرباط فى قلعة شانهايقوان لاسرة تشينغ من قومية مانتشو ، فاضطر لى تسي تشنغ الى توجيه الجيش الى الشرق فى الشهر الرابع من نفس السنة القمرية فدارت رحى الحرب بينه وبين ووسان قوى ، فدخل جيش تشينغ قلعة شانهايقوان وكان دليله وو حتى انهزم جيش الفلاحين . وفى الحال ، رجع لى بالجيش الى بكين فانسحب منها الى مقاطعة شنشى مستهدفا مواصلة النضال المسلح فى منطقة شنشى الوسطى كقاعدة .

احتل جيش تشينغ بكين ونقل عاصمة اسرة تشينغ الى بكين ، فاتحدت طبقة ملاك الاراضى لقوميتى هان ومانتشو وانقضت على جيش الفلاحين فوجبه لى تسي تشنغ بجيش الفلاحين ضربات مؤلمة لجيش تشينغ لكن ذلك لم ينقذه من الوضع السىء ، حتى دخل جيش تشينغ فى مقاطعة شنشى بارشاد قواد مينغ مثل وو سان قوى وغيره . وانسحب جيش الفلاحين من شنشى عبر معارك عنيفة عام ١٦٤٥ وانتقل الى مقاطعة هوبى . فخرج لى تسي تشنغ باكثر من عشرين فارسا للاطلاع على طوبوغرافية سفح جبل جيوقونغ بمحافظة تونغشان وكان

ذلك في يوم من ايام الشهر الخامس وفجأة تعرض هو والفرسان للهجمات المباغتة من قبل العدو حتى استشهد زعيم الفلاحين هذا وهو يناهز ٣٩ سنة من عمره .
وآنذاك ، كان جيش الانتفاضة بقيادة تشانغ شيان تشونغ يحارب في المجرى الاوسط لنهر اليانغتسى . وعندما احتل لى تسى تشنغ بكين ، كان تشانغ قد استقر في مدينة تشنغلو بمقاطعة سيتشوان حيث اسس سلطة الحكم المسماة « دولة الغرب الكبير » . وبعد ذلك استشهد تشانغ لدى دخول جيش تشينغ في مقاطعة سيتشوان .

ثم واصل جيش الانتفاضة بقيادة لى دنغ قوه ولى لاي هونغ محاربة جيش تشينغ حوالى عشرين سنة .

الحروب للدفاع عن سيادة الارض

خاضت الصين نضالات مسلحة من اجل استعادة اراضيها ومقاومة الغزاة في أواخر عهد أسرة مينغ (١٣٦٨ - ١٦٤٤) ووائل عهد أسرة تشينغ (١٦٤٤ - ١٩١١) ، وقد جرى ذلك في المنطقة الساحلية جنوب شرقي الصين ومنطقة شمال شرقي الصين .

استعادة جزيرة تايوان وإنشاء ولاية تايوان الادارية

بدأ المستعمرون الاوربيون يزجون المنطقة الساحلية جنوب شرقي الصين بغارات متكررة في القرن السادس عشر . فاحتل المستعمر البرتغالي مكاو غرب مصب نهر ~~الفلو~~ بمقاطعة قوانغدونغ عام ١٥٥٣ ، ثم احتل المستعمر الهولندي المنطقة على امتداد السواحل الجنوبية الغربية لجزيرة تايوان ، قرب خليج آبينغ عام ١٦٢٤ ، حيث اتم تشييد مدينة تشيتشيان (مدينة آبينغ جنوب تايوان ، حاليا) وبعد ذلك جاء الاسبان ليحتلوا بدورهم جيلونغ (مدينة جيلونغ ، مقاطعة تايوان ، حاليا) ودانشيوى شمال تايوان عام ١٦٢٦ . ثم جرت الاشتباكات بين الفتيين الهولندية والاسبانية ، فتغلبت الفئة الاولى وابتلعت الجزيرة باجمعها ، ففرضت على الأهالى ضرائب وجبايا باهظة كما نهبت اعدادا كبيرة من ابناء تايوان وباعتهم كعبيد في جاوا ، فنهض شعب تايوان يخوض الكفاحات الحازمة مستهدفا اخراج المستعمرين الهولنديين من الجزيرة .

تشنغ تشنغ قونغ (١٦٢٤ - ١٦٦٢) من الابطال الذين كانوا يقاومون اسرة تشينغ ، وكان يربط في المنطقة الساحلية جنوب شرقي الصين . ووجه على رأس قواته المسلحة ضربات ساحقة ماحقة لجيش تشينغ متخذاً من شيامن وجينمن قاعدة له . ثم اقلعت منها ٣٥٠ سفينة حربية حاملة ٢٥٠٠٠ ضابط وجندى بقيادته ومخرت عباب البحر عابرة مضيق تايوان حتى رست بساحل تايوان الغربى فنزل جنود تشنغ بارضاها وهزموا عبر معارك عنيفة المستعمرين الهولنديين ،

الذين احتلوا جزيرة تايوان ٣٨ سنة واجبروهم على الاستسلام وكان ذلك في مطلع عام ١٦٦٢ ، وبهذا قد عادت جزيرة تايوان الى احضان وطننا الأم . ولقد عمل تشنغ تشنغ قونغ على انشاء الولايات والمحافظات والهيئات الادارية في جزيرة تايوان واغراء المهاجرين من اليابسة الصينية لاستصلاح الارض البور وتشجيع الحقول المزروعة . وأنداك ، لم يكن احد من قومية قاوشان في الجزيرة يعزف ان البقر حيوان يصلح للحراثة ولم يكن منهم من يجيد طريقة استخدام المحراث والمحول والمنجل وغيرها . فزود تشنغ تشنغ قونغ ابناء قومية قاوشان بالابزار والآلات الزراعية كما ارسل اليهم المرشدين الزراعيين كي يعلموهم طريقة الزراعة والحراثة والحصاد ، وانشأ لصغارهم مدارس يتلقون فيها العلم .

واجتاز جيش تشينغ مضيق تايوان ونزل بجزيرة تايوان عبر معارك عيفة عام ١٦٨٣ ، وفي العام التالى انشأت حكومة تشينغ ولاية تايوان بادارة مقاطعة فوجيان . هذا وقد عززت الصلات والاواصر بين الجزيرة وبين اليابسة الصينية كما دفعت عجلة تنمية الجزيرة وتوطيد الدفاع البحرى الوطنى .

صد عدوان روسيا القيصرية

احتلت روسيا القيصرية مساحات شاسعة شمال شرقي الصين ، مفتتمة فرصة تقدم جيش تشينغ الى جنوب قلعة شانهايقوان . وكانت روسيا القيصرية من الدول الاوربية التى لا تتصل اراضيها بالصين ، ثم اجتاز جيشها جبال الاورال مستهدفا توسيع نفوذها الى الشرق فاحتل مساحات شاسعة من سيبيريا وقد حدث ذلك في اواخر القرن السادس عشر ، هذا وقد وجهت روسيا القيصرية خربة رمحها نحو بلادنا فبعثت حشودا حاشدة بقيادة بوياكوف ، خاباروف ، ستيناكوف وآخرين . وابتداء من عام ١٦٤٣ ، تجاوزت جيوش روسيا القيصرية منطقة ماوراء جبل شينغان واحتلت ياكسا وغيرها من وادى نهر هيلونغ فاتخذت منها قاعدة للعدوان على الوداى . وفي نفس الوقت ، ارسلت جماعة اخرى من القوات المسلحة نحو شرق بحيرة بيكال فاحتلت نيبوتشو (نيرتشينسك) وغيرها . واينما وصل جيش روسيا القيصرية عمل في السلب والنهب والاحراق ولم يكن يتورع عن فعل اى سوء . فقام السكان من الاقليات القومية على اجيال مختلفة في وادى نهر هيلونغ بمشاركة جيش تشينغ في النضالات الحازمة ضد الغزاة من

روسيا القيصرية .

وطلبت حكومة تشينغ غير مرة من غزاة روسيا القيصرية ان ينسحبوا من اراضي الصين وان يتوصل الطرفان الى ايجاد حل لمشكلة الحدود بين البلدين عبر المفاوضات السلمية ، ولكن حكومة روسيا القيصرية صمت . آذائها عن انذارات ونصائح حكومة تشينغ بل طلبت من اسرة تشينغ « ان تقدم عصا الطاعة لامبراطور روسيا القيصرية » وسجلت تلك العبارة في كتاب تاريخي ، ثم تشددت في زيادة عدد الجيش المرابط في ياكسا وتعزيز التوسع العسكري ، هذه من جهة ، ومن جهة اخرى ، كان الامبراطور كانغ شى لأسرة تشينغ الذى تولى سلطة الحكم من عام ١٦٦٢ الى عام ١٧٢٢ يزعم الاعداد الحرب الدفاعية لصدد الغزاة من روسيا القيصرية ، بعد توطيد سلطة الحكم على منطقة الصين الوسطى وذلك من اجل حماية منطقة الحدود بين البلدين من الغارات . فخرج بنفسه يتفقد احوال مقاطعة جيلين وغيرها شمال شرقى الصين . ووجه اوامره الى بنغ تشون بأن يقود الجيش ليشن الهجمات برا وبحرا على غزاة روسيا القيصرية في ياكسا . فنهض السكان من الاقليات القومية على ضفاف نهر هيلونغ للمشاركة في تشييد اسوار المدينة والمراكز المختلفة وصناعة السفن الحربية ونقل الغلال والاعشاب الى الجيش ، وكذلك سعوا للقبض على الاسرى واستطلاع احوال الغزاة . فشن جيش تشينغ هجمات عنيفة على ياكسا وهدم اسوار المدينة فتلقى جيش روسيا القيصرية ضربات قاتلة حتى اضطر الى الاستسلام ، لكن جيش روسيا القيصرية دخل في ياكسا بعد ان انسحب جيش تشينغ منها ، وقد حدث ذلك عام ١٦٨٥ . ثم وجه الامبراطور كانغ شى اوامره بشن هجمات على ياكسا عام ١٦٨٦ ، وفي الحال ، تقدم جيش تشينغ بقيادة ساويسو لحصار وتطويق ياكسا وقطع مصدر الماء عن المدينة وصب فذائف المدفعية يوميا على المدينة وقد استغرقت العمليات الحربية نصف سنة حتى اصيب تولبوتين القائد الروسى القيصرى بقديفة ومات ، بينما باء جيش روسيا القيصرية بخسران باهظ . فلما وجدت حكومة روسيا القيصرية ان الحقائق الواقعية غير ملائمة لملوحها في احتلال وادى نهر هيلونغ ، اتفقت على حل مشكلة الحدود الشرقية بين البلدين عبر المفاوضات السلمية .

جرت المفاوضات بين ممثلى البلدين الصين وروسيا القيصرية في نيبتشو

(نيرتشينسك) عام ١٦٨٩ ، وقع كل منهما على اتفاقية نيبتشو . وكتبت الاتفاقية باللغات اللاتينية والمنشورية والروسية . ونصت الاتفاقية على : ان الحدود بين البلدين نهر قوربيتسا ونهر ارقون ومن شرق منطقة ما وراء جبال شينغآن الى البحر ، وان المنطقة شمال منطقة ما وراء جبال شينغآن وغرب النهرين المذكورين آنفا تابعة لروسيا ، والمنطقة جنوب منطقة ما وراء جبال شينغآن وشرق النهرين المذكورين تابعة للصين . كما نصت الاتفاقية على : تحديد الخط للمنطقة الشرقية من الحدود بين البلدين قانونيا ، وان مساحات شاسعة من منطقة اودية نهري هيلونغ واوسولي بما فيها جزيرة سخالين تابعة للصين . وافقت وروسيا القيصيرية على سحب قواتها المسلحة من ياكسا وان تتنازل حكومة تشينغ عن المنطقة قرب نيبوتشو شرق بحيرة بيكال والتي كانت تابعة للصين .

الاقتصاد والسياسة في أوائل عهد أسرة تشينغ

أسرة تشينغ الملكية هي آخر أسرة إقطاعية حكمت الصين من عام ١٦٤٤ إلى عام ١٩١١ ، واتخذت من بكين عاصمة لها عام ١٦٤٤ بعد أن جلس على عرش الحكم شون تشي (١٦٣٨ - ١٦٦١) ثالث إباطرة تشينغ ، والذي ورث عن أبيه سلطة الحكم في طفولته ، وقد طلب إلى عمه الأمير دورقون إدارة شؤون الدولة فترة من الزمن . استمرت الحروب حوالي عقدين من الزمن مستهدفة قمع الخارجيين على أسرة تشينغ . وذكرت كتب التاريخ : « الرعايا لا خلف لهم والحقول مجدبة » ، مشيرة إلى أن الانتاج الزراعي في مناطق عديدة قد تعرض للأهمال والتخريب .

انتعاش وتطوير الزراعة والمهن الحرفية

اضطر حكام تشينغ إلى تعديل سياستهم توطيد الحكم الإقطاعي ، فلبّات حكومة تشينغ إلى تدابير تشجع بها على استصلاح الأرض البور ، ووضعت أساسا لبيان منجزات الموظفين المحليين في الإشراف على عمليات الاستصلاح . وعندما تولى كانغ شي (١٦٥٤ - ١٧٢٢) سلطة الحكم أصدر في عام ١٦٦٩ مرسوما ينص على إعادة الحقول الزراعية العائدة إلى أمراء أسرة مينغ إلى المزارعين الذين اشتغلوا فيها آنذاك ، وإطلاق اسم « الحقول المتغير أصحابها » عليها ثم أصدر مرسوما في عام ١٧١٢ ينص على جبي ضريبة الرؤوس عن عدد النفوس المحصية وذلك العام الـ ٥٠ من حكمه الموافق لعام ١٧١١ م ، واعفاء من ولدوا في ذلك العام فصاعدا . وبعد ذلك أعلنت طريقة «إضافة ضريبة الرؤوس في الخراج»

أى توزيع نسبة ضريبة الرؤوس في الخراج وجبى ضريبة موحدة للرؤوس والخراج . هذا وقد فترت سيطرة النظام الاقطاعي على الفلاحين بتحقيق الضريبة الموحدة ، وتخلص الفلاح المعلوم الحقل من ضريبة الرؤوس ، ودفع اصحاب الحقول الضريبة الموحدة حسب مساحتها ، فبدت الموازنة بين هذا وبين ذلك . ومن ثم اندثرت ظواهر اخفاء عدد أفراد الأسرة تدريجيا ولم يكن احد يهرب من خدمات السخرة وضريبة الرؤوس .

بدأ الانتاج الزراعى يتشمش ويتطور تدريجيا في أواسط عهد الامبراطور كانغ شى ، فأتم الفلاحون في أنحاء البلاد استصلاح مناسحات شاسعة من الأراضي البور حتى تزايدت ٤٠٪ من مساحات الحقول المزروعة على امتداد مائة سنة من أوائل عهد أسرة تشينغ وبلغ عدد السكان ٣٦٠ مليوناً وازداد انتاج الرز اكثر من ذى قبل . واخذت زراعة البطاطا الحلوة تظهر في أودية نهر اليانغتسى والنهر الاصفر بعد ان جلبت من مقاطعتي فوجيان وتشجيانغ . وبعد ذلك ، ارتفع انتاج البطاطا الحلوة ارتفاعا ملحوظا وتحولت الى طعام رئيسى كما توسعت مساحات المغروسات القيمة مثل التبغ توسعا كبيرا .

وكان الصناع قد دونت اسمائهم في سجلات دائرة الصناع في أوائل أسرة تشينغ فوجب عليهم ان يدفعوا ضريبة عضوية دائرة الصناع . ا. تهرب الصناع كثيرا . فألفت حكومة أسرة تشينغ أنظمة عضوية دائرة الصناع وانتهت أنظمة خدمات الصناع على هذا النحو ، ومن ثم تمكن الصناع من اخراج المنتجات الحرفية مغتنيين تلك الفرصة ، الى جانب ذلك نذكر ان المهن الحرفية قد اخذت تسير في طريق النمو .

ازدهرت المهن الحرفية في أوائل أسرة تشينغ أكثر من السابق . فمثلا ، تطورت صناعة الحرير تطوراً مطرداً حتى أنه كان في مدينة سوتشو جنوب الصين عشرة آلاف نول وأكثر ، ثم ارتقت في مدينتي نانكين وقوانغتشو وغيرهما الى حد كبير ، ٣٠ ألف نول او أكثر كانت في مدينة نانكين . وايضا تطورت الخزافة في بلدة جينغهده تطوراً اوسع نطاقاً عن ذى قبل . وكذلك تطورت صناعة صهر المعادن ، مثلاً ، كشرت مناجم النحاس في مقاطعة يوننان وبلغ العمال في اكبر المناجم عشرات الآلاف . وكان معمل لصهر الحديد في مقاطعة قوانغدونغ

علو القرن فيه ستة امتار وسماك حيطان القرن ٧٠ سم تقريبا . اذا جرت عمليات الصهر عقلت السماء بالدخان والنار . وانصبت المصهورات في حوض مربع فعمدت وتحولت الى الواح رقيقة ، وكان الانتاج يوميا ١٢ - ٢٠ لوجا ين كل واحد منها ١٥٠ كيلوغراما .

تطور الرأسمالية

تطورت التجارة تطورا تدريجيا مع انتماش وتطور الزراعة والمهن الحرفية . ونمت المهن الحرفية الرأسمالية في جنوب نهر اليانغتسى وفي قوانغدونغ وتوسعت معاملها في أوائل عهد أسرة تشينغ . فكانت ٥٠٠ - ٦٠٠ نول في اضخم معمل من معامل الأنسجة الحريرية بنانكين ، حيث استثمر اصحاب الانوال الاموال في صناعة الأنسجة الحريرية وكانت أجور العمال حسب عملهم . وامتلك عدد كبير من تجار الأنسجة الحريرية في مدينة سوتشو مقادير هائلة من الراسمال والمواد الخام والانوال زدودوا بها العوائل الصغيرة كيما تنتج الحرائر ثم جمعوا منها الحرائر ليبيها في السوق كما كان افراد العوائل الصغيرة ينسجون الحرائر مقابل اجور وفق مقادير المنسوجات ، واقام بعض التجار الكبار انفسهم معامل المهن الحرفية واستكروا العمال بصورة مباشرة لينسجوا لهم الحرائر . فاعتبر التجار الكبار واصحاب الانوال الكبار رأسماليين في وقت مبكر . وكان الفلاحون في غاية الفقر نتيجة الاستغلال والاضطهاد من قبل ملاك الأراضي ، ولم يكن بوسعهم ابتياع ما يحتاجون اليه من المنتجات الحرفية ، وتأثر توسيع المهن الحرفية بأجور الأرض الباهظة وتصرفات التجار وملاك الأراضي الذين اشتروا الحقول المزروعة بما جنوه من ارباح طائلة . والى جانب ذلك عملت حكومة تشينغ على تنفيذ سياسة «الاتجاه الى الزراعة والضغط على التجارة» فوجهت اوامرها غير مرة الى حظر التجارة الخارجية . كما اقامت مراكز في انحاء البلاد تجبى ضرائب باهظة على ما كان يحمله التجار . اضافة الى سيطرة حكام تشينغ على نفاق الانتاج الحرفي بشدة . ويتضح لنا أن الأنظمة الاقطاعية هي التي كانت تعوق تطور الرأسمالية ، لذا ، تقدمت الرأسمالية الى الأمام بطيئة جدا آنذاك .

فساد السياسة وتشديد الاستغلال الاقطاعي

خطت أسرة تشينغ الى تعزيز الحكم الدكتاتوري الاقطاعي خطوة اوسع من السابق . . ورثت نظام السلطة المركزية من أسرة مينغ مجسدة بتأسيس مجلس الوزراء الذى يضم ستة وزارات ، ثم اقامت هيئة المجلس الاستشارى الامبراطورى كنواة لادارات الدولة عام ١٧٢٩ ، والهيئة مسئولة عن السياسة والحرب فى البلاد ، ووزير الهيئة يتلقى الأوامر والتعليمات من الامبراطور فى خشوع وكان الامبراطور يكشفه عن الأسرار والشئون الهامة للدولة ، يمثل الوزير بين يديه ويكتب أوامره فى كراس يوزعه على مجلس الوزراء والوزارات ورؤساء المقاطعات والقواد والوزراء . . . ، وأنداك ، انقسمت جيوش تشينغ الى ثمانية ألوية بعضها فى العاصمة بكين والبعض الآخر فى المدن الهامة بالبلاد بقصد السيطرة على أبناء القوميات المختلفة فكريا .

وكذلك شنت حكومة تشينغ حملات لتكميم افواه الكتاب بل جرى اعتقالهم اكثر من مائة مرة ، مستهدفة كبح أفكار المثقفين الخارجيين على اسرة تشينغ . حدث ان الف داي مينغ شى كتابا بعنوان : « ديوان الجبل الجنوبى » يصف فيه الحقائق الواقعية ضد أسرة تشينغ والتي حدثت فى الفترة بين اسرتى مينغ وتشينغ . وعندما صدر الكتاب غضب الامبراطور كاتف شى فالقت حكومة تشينغ القبض على الكاتب . وسفكت دمه وبلغ من لهم صلة بقضيته عدة مئات . ومثل آخر ، نظم الشاعر شيوى جيون قصيدة يقول فيها : « . . . النسيم الليل لا يقرأ فلماذا يقلب الصفحات خبط عشواء » ، كلمة النسيم الليل فى القصيدة معناها تشينغ فى اللغة الصينية ، فاتهم الحكام الشاعر بأنه يعمد الى الاستهزاء بأسرة تشينغ لذا سفكوا دمه . وفى ذلك الوقت ، لم يجرؤ احد من المثقفين حتى ولو مجرد السؤال عن السياسة او يمعن فى الاطلاع على الكتب القديمة نتيجة للارهاب الثقافى . توسعت الهيئات الحكومية لأسرة تشينغ كما كان الموظفون كبارا او صغارا سفهاء غير قادرين على شى " من الأفعال وعم الفساد والرشوة كل مكان . وتواترت على ألسنة الناس كلمات مثل : « من حكم منطقة زاهدا عن الرشوة ثلاث سنوات انصب فى جيبه مائة الف تايل من فضة » مثلا ، كان خه شن قد تولى رئاسة

مجلس الوزراء عشرين سنة وتقاضى من الرشوة ما قدر بألف مليون تايل من الفضة ، يوازى دخل حكومة تشينغ الاجمالى فى عشرين سنة .

ونهب الحكام من القوميات المختلفة برئاسة نبله تشينغ مساحات شاسعة من الحقول المزروعة . وما ان جاوز جيش تشينغ قلعة شانهاى حتى اصدرت حكومة تشينغ أوامرها بـ « احتلال الحقول المزروعة » ، فشتت ثلاث حملات احتلت فيها مليون هكتار من الحقول المزروعة فى المحافظات والولايات القريبة من عاصمة بكين ووزعتها على النبلاء والضباط والجنود ، فضاقت الشعب بذلك ذرعا شديدا ، ثم النيت الأوامر المذكورة بيد أن حالة احتلال الحقول المزروعة ازدادت خطورة على يد الأمراء والنبلاء وكبار الموظفين وملوك الأراضى الكبار . .

استولى الامبراطور والدولة الاقطاعية على مساحات هائلة من الحقول الاميرية .

لنأخذ مثلا آخر يتعلق برئيس مجلس الوزراء خه شن : امتلك اكثر من خمسين الف هكتار . وكانت عائلة هاو فى محافظة هوايرو ، مقاطعة خبى ، تمتلك سبعين الف هكتار تقريبا . وازافة الى ذلك تقاضى ملك الأراضى من الفلاحين الأجراء أجورا عالية من الأموال أو الغلال . فافلست العوائل من القوميات المختلفة بفضل الاستغلال والاضطهاد من قبل طبقة ملاك الأراضى .

النضالات ضد أسرة تشينغ

استوطن أبناء قومية مياو فى مقاطعة قويتشو وغرب مقاطعة هونان . وكان نبله قومية مانتشو وملوك الأراضى من قومية هان ينهبون منهم مساحات شاسعة من الأرض . فالتجأ أبناء مياو مضطرين الى المناطق الجبلية المجربة ، حيث عاشوا عيشة لاتطاق .

وقام أبناء قومية مياو بقيادة شى ليو دنغ بالانتماضة المسلحة فى محافظة تونفرن ، مقاطعة قويتشو ، عام ١٧٩٥ ، ونهضت جماعة اخرى بقيادة وو با يويه غرب هونان استجابة لدعوة الجماعة الأولى فرغ المتمردون شعار : « مطاردة الغرباء واستعادة الحقول القديمة » ، عاقدين الزم على مطاردة الطنائة من نبله قومية مانتشو وملوك الأراضى من قومية هان واعادة الحقول المزروعة الى أصحابها . فبعثت حكومة تشينغ قوات عسكرية لتمارس القمع الدموى ،

فقال المتمرّدون : « لدى الحكومة عشرات الآلاف من الجنود والضباط ولدينا الجبال الناطحة الشحاب ، ومتى جاء العدو انسحبنا ومتى رحل عدنا » . فلما شن جيش تشينغ هجمات عليهم انسحبوا الى الجبال . وعند انسحاب الجيش فاجأوه بشن الهجمات . فاستنفرت حكومة تشينغ القوات العسكرية من سبع مقاطعات ، « قويتشو وهونان وغيرهما » حتى اطفئت نار التمرد عام ١٨٠٦ .

وقامت الانتفاضة المسلحة باسم دين اللوتس الأبيض على امتداد مقاطعات هوبى وسيتشوان وششى عام ١٧٩٦ . اذ ان جماعات من الفلاحين افلست فى أواخر عهد الامبراطور تشيان لونغ (١٧١١ - ١٧٩٩) فلجأت جماعة الى الغابات والمنطقة الجبلية المتصلة بالمقاطعات المذكورة سابقا وكان بعضهم يزاول استصلاح الارض البور وبعضهم الآخر يعملون فى المناجم . فالتهمز دعاة الدين تلك الفرصة لنشر تعاليمهم فيما بينهم وقالوا : « من يتدين بدين اللوتس الأبيض يحصل على قدر معين من الحقول المزروعة حين تنقلب الاحوال رأسا على عقب » . فدخل الفلاحون جماعة جماعة فى الدين تواقين الى الحصول على حصصهم من الحقول . فوجهت حكومة تشينغ أوامرها الى أن تسفك دماء المتدينين باللوتس الأبيض على نطاق واسع . وفى الحال ، نهض المتدينون قرب منطقة جينغتشو بمقاطعة هوبى يرفعون راية التمرد وتبهم المشرّدون غرب مقاطعة هوبى وشرق سيتشوان وهم يصرخون : « الحكومة تجبر الرعايا على التمرد » . وأينما وصل أفراد قوات الانتفاضة ارشدهم الفلاحون وربوا لهم السكن والمبيت وزودوهم بالغلال والحيوان والبارود والرياح . وكانت وانغ تسونغ ار من مدينة شيانغيانغ ، مقاطعة هوبى ، وهى بطلة من المتدينات بدين اللوتس الأبيض وماهرة فى عمليات القتال ، انتخبت قائدة عامة لقوات الانتفاضة . انتقلت قوات الانتفاضة بقيادتها الى مقاطعات هوبى وششى وسيتشوان وانضم اليها مائة ألف شخص أو أكثر .

وجهت حكومة تشينغ أوامرها الى ملاك الأراضي ان يعملوا على اقامة القوات المسلحة المحلية والقلاع المحيطة بالمدن او الأرياف وقطع الممرات والامدادات التى نقلت الى قوات الانتفاضة . وقد حشدت الحشود من مختلف المقاطعات تشن الهجمات على قوات الانتفاضة التى ثابرت على الكفاح اكثر من تسع سنوات حتى اطفئت نار التمرد على يد حكومة تشينغ عام ١٨٠٥ .

الكفاح من اجل توطيد الدولة الموحدة المتعددة القوميات

نجحت أسرة تشينغ الملكية (١٦٤٤ - ١٩١١) في توطيد الدولة الموحدة البالغ عدد قومياتها اكثر من خمسين ، بعد تهدة المتمردين في حدود البلاد .
القضاء على اضطرابات نبل زونغاريه

انقسمت قومية المغول بين اواخر أسرة مينغ (١٣٦٨ - ١٦٤٤) واولل أسرة تشينغ الى ثلاث فئات كبرى : مغول موان ومغول موبى ومغول موشى . كان مغول موان انتشر في غرب جبال آلتاى وشرق وجنوب بحيرة بلكاش وشمال جبال تيانشان وفي بعض الاجزاء من تشينغهاى . وقد اذعن مغول موان لأسرة تشينغ قبل ان يدخل جيش تشينغ قلعة شانهاى . وبعد ذلك ، تبهتهم الفشتان الاخريان .

تفقلت قبيلة زونغاريه من مغول موشى في حوض نهر ايلى لرعى الماشية ثم اشتد ساعدها تدريجيا في وائل عهد أسرة تشينغ ، وبعد ذلك ، ضمت القبيلة بقيادة النيبيل جالدان سائر قبائل موشى وامتد نفوذها الى جنوب جبال تيانشان في عام ١٦٧٧ . وقد نصب نفسه « خان » القبائل فكتب الى الامبراطور كانغ شى الذى جلس على عرش الحكم في الفترة بين عامى ١٦٦١ و ١٧٢٢ يقول : « لك يا صاحب الجلالة الامبراطور السيادة على الجنوب وانا لى الشمال » قاصدا من وراء ذلك تجزئة الوطن الأم . وارسل مبعوثة الى روسيا القيصرية سنويا بين عامى ١٦٧٢ و ١٦٨٣ بهدف التواطؤ مع روسيا القيصرية لتهديد مغول موبى وشن الهجمات عليهم اعتمادا على روسيا القيصرية . وفي عام ١٦٨٨ ، توجه جالدان على رأس جيوشه الى الشرق وشن الهجمات على مغول موبى . كما الذى تلا التوقيع على اتفاقية نيبوتشو عام ١٦٨٩ مدعيا مطاردة مغول موبى ، جمع الحشود لمهاجمة منغوليا الداخلية توازره القيصرية عام ١٦٩٠ أى في العام الذى تلا التوقيع على اتفاقية نيبوتشو عام ١٦٨٩ مدعيا مطاردة مغول موبى ، ويعود ذلك الى التحالف السرى بين المندوب الروسى ومبعوث جالدان . فأضرم

نار التمرد على حكومة تشينغ المركزية تدفعه الى ذلك روسيا القيصريّة . قاد الامبراطور كانغ شى بنفسه الجيش للقضاء على التمرد ، فتلاقى الطرفان في اولاً نبوتونغ (جنوب شواطئ شيرامولون في المجرى الاعلى لنهر لياوخنه ، جنوب لواء كاشكانتغ ، ولاية جاوودا بمقاطعة لياونينغ ، حالياً) . وفي الحال ، نشبت الاشتباكات العنيفة واصيب جالدان بهزيمة ساحقة فهرب بمن تبقى من فلول جيشه .

ثم توجه جالدان بحشد عزم عام ١٦٩٥ الى شرق نهر كادولون . فلذهب الامبراطور كانغ شى مرة ثانية برجاله الى مواجهة الاعداء عام ١٦٩٦ ، وهزم جماعة جالدان في جنوب شرق اورغا (اولانباتور عاصمة جمهورية منغوليا الشعبية ، حالياً) ، ولم يتبق مع جالدان الا عشرات من الفرسان . حينذاك ، نهض ابناء قوميتي الويغور والقازاق في شينجيانغ والمغول في تشينغهاي يقاومون حكم جالدان الوحشي وكذلك ابناء نبلاء زونغاريه . فوجد جالدان ان لا مناص له من النهاية المحتومة فانتحر بتناول السم . ومن ثم استأنفت حكومة تشينغ السيطرة على مغول موبى في شرق جبال آلتاي . وبالإضافة الى ذلك منحت القابا ووظائف رسمية للنبلاء المغول لتوطيد حكمها وسيطرتها عليهم . وبعد ذلك ، عينت حكومة تشينغ قائد الجيش اولياسو تاي عام ١٧٣٣ حاكماً لاربع مناطق (٥) من خالكا كبودو و تانو اولياتغهاي اللتين اطلق عليهما الناس منغوليا الخارجية منذ اواخر عهد أسرة تشينغ .

اثار أمورسانا احد النبلاء من قبيلة زونغاريه اضطرابات وقلقل عام ١٧٥٥ ، بمساعدة روسيا القيصريّة ، فبعث الامبراطور تشيان لونغ (تول سلطنة الحكم في الفترة بين عامي ١٧٣٦ - ١٧٩٥) مجموعتين من الجيوش للتقيا في ايل لشن الهجمات عليها وقضتا على التمرد عام ١٧٥٨ ، هذا وقد تحطمت مؤامرات روسيا القيصريّة في الاغارة على مناطق شمال غربي الصين .

القضاء على تمرد النبلاء في حدود هوى

كان الويغوريون هم القومية الرئيسية من القوميات الساكنة في الطريق الجنوبي بجبال تيانشان من شينجيانغ في عهد أسرة تشينغ كما يمتنع ابناءؤها دين الاسلام ، لذا ، اطلقت حكومة تشينغ لقب حدود هوى على الطريق الجنوبي

بجنال تيانشان . اشمل الخواجيا الاكبر واخوه الاصغر ، الخواجيا الاصغر من القومية الويغورية نار التمرد بعد القضاء على اضطرابات زونغريه . فيعت الامبراطور تشيان لونغ عام ١٧٥٨ الذى جعل الدماء تسيل انهارا وانتهت الحرب بفرار الخواجيا الى الغرب ولكنه قتل بعد مدة قصيرة ، ثم استأنفت حكومة تشينغ توحيد منطقة شينجيانغ فعينت حاكما على ايلي عام ١٧٦٢ مستهدفة السيطرة على جنوبى جبال تيانشان وشمالها كما انتشرت جيوش تشينغ فى انحاء شينجيانغ وانشأت مواقع الحراسة مما ادى الى تعزيز حماية شمال غربى الصين من الاضطرابات والقلاقل .

جيهانغير حفيد الخواجيا الاكبر ، تمرد فى العشرينات من القرن التاسع عشر ، فاقبل بالمستعمر البريطانى فى افغانستان منذ شبابه وجعلت بريطانيا من جيهانغير دمية فى يدها للاغارة على شينجيانغ . فتسلل جيهانغير الى جنوبى شينجيانغ عام ١٨٢٦ وبدأ يجمع نبله الويغور لاثارة التمرد بينما بحث معه بريطانيا جواسيس يعملون كمستشارين له وزودته بالاسلحة الجديدة وساعدته على تجنيد المتمردين . ثم وقع جيهانغير اسيرا بيد جيش تشينغ عام ١٨٢٨ ، فانتهى التمرد .

تعزيز سلطة الحكم على التبت

استقبل الامبراطور شون تشى (١٦٣٨ - ١٦٦١) الدالاي لاما الخامس زعيم دين لاما فى اوائل عهد أسرة تشينغ . كلمة دالاي معناها البحر ، ولاما معناها الاستاذ الاعلى . وهذا اللقب يطلق على رجال الدين اللامى . وفى اثناء االتمالبة منح شون تشى له لقب الدالاي لاما تعظيما له . وكذلك منح لقب باننتشان اردنى لبانتشان الخامس وهو زعيم آخر من زعماء الدين اللامى . اما بانمتشان فمعناها الاستاذ الاعظم ، واردنى معناها الجوهر . ومن ثم تأكدت منزلتهما الدينية على يد حكومة تشينغ . ثم قررت الحكومة المركزية تطبيق نظام منح اللقب للخلف بالوراثة على اجيال مختلفة . ثم عينت اسرة تشينغ عام ١٧٢٧ وزيرا مقيما فى لاسا يمثل الحكومة المركزية . وبعد ذلك ، قررت أسرة تشينغ فى عام ١٦٩٣ ان يشارك الدالاي لاما والباننتشان فى ادارة شؤون التبت . . مما ادى

الى تعزيز سلطة الحكومة المركزية الموجهة الى ادارة التبت .

اراضى الصين وابناء القوميات المختلفة فى اسرة تشينغ

فى اوائل عهد اسرة تشينغ جاوزت اراضى الصين جبال البامير غربا ، وامتدت الى ضفة بحيرة بكاش الشمالية فى الشمال الغربى واتصلت بسيبيريا شمالا ، وامتدت الى الشمال الشرقى الى منطقة جبال شينفان الخارجية وجزيرة سخالين شمال نهر هيلونغ ، واطلت على المحيط الهادى شرقا بينما امتدت الى جزيرة تايوان والجزر التابعة لها فى جنوب شرقها ، مثل : جزيرة دياويوى وجزيرة تشوى وجزر بحر الصين الجنوبى جنوبا .

اما جزر بحر الصين الجنوبى بما فيها جزر شيشا ودونغشا وتشونغشا ونانشا وجزيرة هوانغيان (الصخور الصفراء) وغيرها فكانت تابعة للصين منذ قديم الزمان . حينذاك ، كانت جزر بحر الصين الجنوبى كما وردت فى البدونات التاريخية ، مسماة : « تشانغشا الممتدة الى عشرة آلاف لى ، البركة الصخرية الممتدة الى الف لى » وتتبع محافظة والتشو بولاية تشيونغتشو بمقاطعة قوانغدونغ .

لقد عاش فى اراضى الصين الشاسعة من عهد اسرة تشينغ اكثر من خمسين قومية منها : هان ، مانتشو ، المغول ، هوى ، التبت ، ويغور ، ميار ، يى ، تشوانغ ، بويسى ، كوريا ، ياو ، القازاق ، داي ، لى ، قاوشان ، جينغبوه ، داوور ، اوينك ، اولونتشون ، لوبا ، كل واحدة منها ساهمت مساهمات معينة فى تأسيس الوطن الأم . وقد اقامت حكومة تشينغ دائرة خاصة بإدارة شئون الاقليات القومية . وتمزت الاواصر والصلات اقتصاديا وثقافيا بين القوميات المختلفة فى ظل سلطة تشينغ الموحدة وغطت المناطق فى حدود البلاد خطوة واسعة الى مرحلة التنمية وتم توطيد الدولة الموحدة المتعددة القوميات . دخل كثير من ابناء قومية مانتشو قلعة شانهاى فى اوائل عهد اسرة تشينغ بينها هاجر عديد من ابناء قوميتى هان وهوى الى المناطق خارج قلعة شانهاى شمال شرقى الصين فانشئت مجمعات سكنية على يد ابناء قومية مانتشو وغيرهم حتى تحول شمال شرقى الصين الى منطقة متطورة الزراعة تدريجيا .

كانت قوميات داوور واوينك واولونتشون وغيرها مسماة باسم سولون

في أسرة تشينغ وانتشرت على اودية المجرى الاوسط والاعلى لنهر هيلونغ خارج جبال شينآن واودية نهر جينغتشيلي (نهر جيها ، حاليا) المتفرعة من نهر هيلونغ او على جزيرة سخالين ، ثم هاجرت الى اودية نهر نونجيانغ على ضفة نهر هيلونغ الجنوبية بسبب الاغارات من قبل روسيا القيصرية ، حيث عاشت قومية داوور على الزراعة والرعى بصورة رئيسية وتنقلت قوميتا اولونتشون واوينك وراء الصيد فتدرد ابناؤهما على الغابات لصيد السمور او على الاودية لاجراج لبثات جنسنغ الطبى وعملوا على تربية الرنة متخذين منها مطاياهم ، وزودوا ابناء قومية هان بالجنسنغ وفرو السمور وقرون الاياكل مقابل الغلال والاقمشة والآلات الحديدية . وانتشرت قومية ختشه على امتداد المجرى الاسفل لنهر هيلونغ وعمل ابناؤها على صيد الحيوان وصيد الاسماك من النهر . ومن عادات ختشه استخدام الكلاب في جر الزحافات الجليدية شتاء .

كانت منطقة منغوليا وفيرة المواشى فهاجرت اليها جماعات كبيرة من ابناء قومية هان في اوائل عهد أسرة تشينغ حيث عملوا على استصلاح الاراضى البور في منعطف النهر الاصفر وشرق منغوليا الداخلية واشتغلوا بالزراعة فيها وعلموا ابناء المنغول فن الزراعة والفلاحة حتى استوعبوا فن زراعة الارض والفلاحة وكان ابناء المنغول من هواة العزف على العود على شكل رأس الحصان والغناء وسرد الحكايات بينما اتقنوا فنون الفروسية والرماية والمصارعة وغيرها .

انتشر ابناء قومية هوى في انحاء البلاد واستوطن منهم الكثير في مناطق لينغشيا وقانسو وشينجيانغ ، وطالب المقام لعدد غير قليل منهم في مقاطعات خبى ، خنان ، تشنغهاى ، يوننان وغيرها . وقومية هوى كلها تدين بدين الاسلام وساهم ابناؤها مساهمات نشيطة في تنمية منطقة شمال غربى الصين وكذلك ساهم تجارهم في تطوير الاقتصاد بين حدود الصين ومناطقها الداخلية .

استوطن في شينجيانغ كثير من الاقليات القومية حيث عاشت قومية القازاق بشمالها على الرعى والقومية الويغورية في جنوبها على زرع القمح والذرة والقطن والكروم والشمام وجلبت المياه الذائبة الثلوج من جبال تيانشان تارة والمياه الجوفية لرى الحقول تارة اخرى . واعتادت حفر الآبار واسمها آبار

كار ، وطريقة حفر الآبار كالتالى : حفر حفرة بين كل ٢٠ - ٣٠ مترا ثم الحفر الى جانبيها حتى تشكل جدولا طويلا فى جوف الارض يتصل احد طرفيه بمصادر الماء وطرفه لآخر بالقناة فوق الارض حتى تجرى المياه من جوف الارض الى الحقول . كما كان الصناع الويغوريون مهرة فى الحرف اليدوية واخرجوا كميات هائلة من الحرائر والطنافس واليشم ، والتي وجدت رواجا فى انحاء البلاد . والجدير بالذكر ان ابناء الويغور مهرة فى الغناء والرقص . وانتشرت قومية التبت فى هضبة تشينغهاى - التبت ، وعاشت على الرعى والزراعة واعتادت غرس شعير تشينغكو فى منبسطات الهضاب جنوب التبت بينما ترددت على المروج شمال التبت لرعى ابقار الباك والاعنام . وكذلك تفنن ابناء التبت فى الرقص والغناء . واتموا تشييد قصر بوتالا على ضفة نهر لاسا فى اوائل عهد اسرة تشينغ ، علوه ١٣ طابقا وهو يبدو عظيما ضخما وفخما وحيطانه مزدانة بالجداريات الزاهية التى تصور الاساطير الدينية وتاريخ القومية التبتية . انتشرت قومية تشوانغ فى مقاطعات قوانغشى ، يوننان ، هونان ، قوانغدونغ وغيرها وعاشت على الزراعة والرعى ، وكان ابناءها مهرة فى الغناء وكلما حلت مواسم الربيع والخريف انتشرت المباريات فى الاناشيد الشعبية .

والقوميات : مياو ، ياو ، يى المستوطنة فى جنوب غربى الصين ، ولى فى جزيرة هاينان وقاوشان فى جزيرة تايوان ولكل منها تاريخ طويل ، وقدمت كل واحدة نصيبها من الحضارة والثقافة على ارض الوطن .

* انضم مغول موبى الى الخان توشهتو والخان تشهتشن والخان جاسا كيهتو . ثم ظهر الخان سائينويان من المنطقة الاولى عام ١٧٢٥ ومن ثم تشكلت المناطق الأربع وسميت (مغول خالكا) .

الصين من اقدم بلاد العالم حضارة وتاريخها المكتوب يعود الى اربعة آلاف سنة . يضم ترابها كنوزا اثرية وفيرة فتشكل علامة بارزة على حضارتها العريقة . وقد بدأت مجلة (بناء الصين) من شهر اكتوبر ١٩٧٨ فى نشر سلسلة من تاريخ الصين . وقد جمعناها للتسلسل التاريخى - يجمعها هذا الكتيب ، بناء على رغبات قرائنا الكرام .

يقع الكتيب في جزئين ، الجزء الاول يضم نشاطات الانسان في سمور
 البدائية والمجتمع العبودى وبعض الفترات من المجتمع الاقطاعى (قبل القرن
 العاشر الميلادى) - ١٥ مقالة . اضافة الى الصور الاثرية والايضاحات بالرسوم .
 والجزء الثانى سيفهم تاريخ الصين من القرن الحادى عشر الى نهاية المجتمع
 الاقطاعى فى اوائل القرن العشرين .

الثقافة فى عهد أسرة تشينغ

أخذت حضارة الصين فى أيام أسرة تشينغ الملكية (١٦٤٤ - ١٩١١) تتطور حثيثا ، فتقدمت علوم الفلك والتقويم والطب . وبدأت الأفكار الديمقراطية للطبقة المدنية الناشئة تنعكس فى الأعمال الادبية بسبب ظهور براعم الرأسمالية .

العلوم والتاريخ

أحرزت العلوم الطبيعية وخصوصا علوم الفلك والتقويم فى أسرة تشينغ منجزات مرموقة . . كان الامبراطور كانغ شى (١٦٥٤ - ١٧٢٢) ضليعا فى الفلك والرياضيات وعلق شخصا على كتاب « علم التقويم » من تأليف مى ون دينغ (١٦٣٣ - ١٧٢١) عالم الرياضيات الفذ والبارع فى علم التقويم الصينى والاجنبى . وقد كتب مى ون دينغ سلسلة من مؤلفات علمية جديدة بلغت أكثر من ٨٠ مؤلفا بعد المقارنة والجمع بين العلم الفلكى والرياضيات الصينية والمعارف الفلكية والرياضيات الأجنبية المتقدمة ومنها كتاب « التقويم القديم والحديث » ، اول كتاب حول تاريخ علم التقويم فى بلادنا ،

مينغ آن تو (؟ - ١٧٦٥) عالم بارز من القومية المنغولية فى أيام تشيان لونج . وقد انحدر من منطقة شيلينقهله من منغوليا الداخلية وبرزت قدرته فى الرياضيات وهو فى ربيع الشباب . وكان يلزم دائما الامبراطور كانغ شى بوصفه مستشارا علميا له . . وفيما بعد ظل يعمل فى دائرة الابحاث الحكومية حول التقويم والفلك لمدة خمسين سنة ، وقد اشترك فى مسح ورسم الخرائط على نطاق البلاد فى اوائل أسرة تشينغ وكتب اول كتاب خاص بنظريات المتواليات الرياضية فى بلادنا . . ذلك لمهارته وبراعته فى علوم الفلك والجغرافيا والرياضيات كتاب « الكامل فى الطب » هو كتاب شهير تم تأليفه بأشراف الحكومة فى عهد تشيان لونج (١٧١١ - ١٧٩٩) . وهو يلخص ويقدم بشكل متسلسل الطب الصينى التقليدى ويجمع كمية هائلة من الوصفات الممتازة المتوارثة .

كانت حكومة اسرة تشينغ قد نظمت اعدادا كبيرة من العلماء والمثقفين في تأليف الكتب المختلفة ومنها « مختارات من الكتب القديمة والحديثة » و« المؤلفات الكلاسيكية الشاملة الصينية » الشهيرة .

« مختارات من الكتب القديمة والحديثة » تمت في عهد كانغ شى ويونغ تشن (١٧٢٢ - ١٧٣٥) وهى تضم ٦ فروع من العلوم ، منها التقويم الفلكي والفنون والاقتصاد . كل فرع ينقسم الى ابواب كثيرة زاخرة بالمعلومات القيمة وخاصة فيما يتعلق بتاريخ الاقتصاد وهى ذات قيمة واهمية وتضم ١٠٠٠٠ مجلد .

« المؤلفات الكلاسيكية الشاملة الصينية » هى مجموعة ضخمة الحجم تمت في عهد تشيان لونج وتنقسم الى اربعة فروع اى « جينغ شى تشى حى » (معناها الكتب الكلاسيكية والتاريخ والفلسفة من المدارس المختلفة والآثار الأدبية المختلفة) وتقع تحت ٣٤٥٧ عنوانا في ٣٦٠٠٠ مجلد وتعتبر اكبر مجموعة في بلادنا وتحفظ كثيرا من الوثائق القديمة المهمة . وبعد اتمام تأليفها استنسخ منها سبع مجموعات حفظت في بكين وتشنغده وشيانغ ويانغتشو وتشنغجيانغ وهانغتشو ومنها ثلاث قد احرقت وثلاث أخرى حفظت في بر الصين واحدة في تايوان .

مشاهير الادباء

تساو شيويه تشينغ أديب عظيم في اسرة تشينغ (١٧٦٣ - ١٧٦٤) ، وروايته « حلم المقصورة الحمراء » - من الأدب الصينى الخالد (ظهرت لها ترجمة باللغة الانكليزية في ثلاثة مجلدات) .

ولقد عاش تساو في ايام الازدهار في اسرة تشينغ ، وعاصر الاباطرة : كانغ شى ويونغ تشن وتشيان لونج . ومن المعروف ان جده واباء كانا يتوليان مسئولية المنسوجات الحريرية المستخدمة في البلاط الامبراطورى في جيانغنينغ (نانكين حاليا) ، حيث قضى ايام طفولته هناك . . وفيما بعد هبت رياح التغيير على حياة اسرته الارستقراطية فهوت الى درجة ادنى ، فانقلت الى مدينة بكين . والحياة الدنيا هذه قريته من حياة الشعب من الطبقة الدنيا فلمس عن

قرب ما يرزحون فيه من فقر وعرف الكثير من واقع المجتمع بسبب التبدل الشديد في مكانته الاجتماعية وبيئته الحياتية ، وبالتالي انعكست تلك التغيرات على مشاعره وعواطفه ، وكتب في حزن وفيظ روايته الطويلة الممتازة « حلم المقصورة الحمراء » التي تفضح وتنقد الحكم الاقطاعي . ولكن للأسف لم يتم عمله اذ توفي من الفقر والمرض وترك الرواية مخطوطة في ٨٠ فصلا ، وجاء من بعده الأديب قاو أه (١٧٣٨ - ١٨١٥) فواصل في كتابتها و اضاف إليها ٤٠ فصلا .

تروى « حلم المقصورة الحمراء » قصة حب بين شاب وفتاة من أسرة اريستقراطية في اواخر العهد الاقطاعي في بلادنا وهما : جيا باو يوى وليينغ داي يوى . فقدت لينغ داي يوى ابويها وهى صغيرة وعاشت مع عائلة جدتها ونشأت مع باو يوى سويا . وربط الحب بين قلبيهما بفضل افكارهما المشتركة المتمردة على الاقطاع ولكن الطقوس الاقطاعية وقفت بين سبهما حاجزا صلدا فقتلته بلا رحمة . . واذ باو يوى قد انخدع وتزوج من شيويه باو تساي الفتاة الارستقراطية المدافعة عن الفكر الاقطاعي . وبين اصوات الموسيقى والطبول في حفلة الزواج ، ماتت لينغ داي يوى حزينة من المرض . . اما باو يوى فهجر البيت حزينا كئيبا ، وتحول الى حياة الرهبنة . وفي هذه الرواية فضح الكاتب بشدة آثام الطقوس الاقطاعية والنظام الاقطاعي ، وكذلك اكتشف عبر وصف ازدهار وانحدار عائلة جيا والشخصيات المختلفة فيها ، اكتشف بعمق جوهر النظام الاقطاعي الفظيع وطابع طبقة ملاك الاراضى وبين اتجاه المجتمع الاقطاعي المحتم الى الهلاك . وهذه الرواية غنية المضمون ، شديدة التأثير الفنى حيث تركيبها ضخم ومنسق وحبكتهما شديدة التعقيد مثيرة ولغتها حيوية واسلوبها جذاب اضافة الى شخصياتها المتميزة بالاخلاق المتباينة مثل جيا باو يوى وليينغ داي يوى الخارجيين على الطقوس الاقطاعية وتشين ون ويوان يانغ الجريئين على النضال ضد النفوذ الاقطاعي وجيا تشن المدافع عن الاقطاع وانغ شى فنغ المتسلطة القاسية القلب . ان رواية « حلم المقصورة الحمراء » هى نموذج أدبي يجمع بين المضمون الفكرى والاسلوب الفنى وتحتل مكانة بارزة بين الآداب العالمية .

بو سونغ لينغ (١٦٤٠ - ١٧١٥) : كاتب قصص بارع امتاز في

كتابة القصة القصيرة ، وقد اخرج « حكايات لياوتساي الغريبة » التي تحتوى على مئات القصص المثيرة في لغة حيوية نابضة ودقة متناهية . وعبر الكاتب بهذه القصص الساحرة الحكمة بشخصها من البشر والجان والمفاريق عن سخطه على المجتمع وفضح فيها بشدة ظلم المجتمع الاقطاعي وسياسته الفاسدة وكذلك هاجم بلا هوادة الموظفين المختلسين والعتاة المحليين والوجهاء الاشرار . وهذه القصص تضم كثيرا من قصص الحب والغرام وتعبر عن رغبات الشباب وتصرفاتهم الجريئة على كسر اغلال القيود الاقطاعية الذين رسفوا تحت اغلال الضنط والاضطهاد الاقطاعية . واتخذ الكاتب في هذه القصص ، كأبطال ، كثيرا من الفتيات الفائنات الساذجات . الجريئات المخلصات في حبهن ، الأمر الذي يمثل بروز الافكار المتقدمة .

والى جانب هذا وذلك هناك بعض الروايات الشهيرة الاخرى في تلك المصور ، مثل « المتأدبون » من تأليف وو جينغ تسي (١٧٠١ - ١٧٥٤) و (الزهور في المرأة) لصاحبها لي رو تشن (١٧٦٣ - ١٨٣٠) ، وهما قصتان تزخران بالسخرية . الاولى تسخر من الوجوه القبيحة من الطبقة العليا لمقاومة الطقوس الاقطاعية واسلوب القوالب الجامدة في العلوم . اما القصة الثانية فتنتقد المظاهر غير العادلة الموجودة في المجتمع مستعيرة عالم الخيال ، ويجدر بالذكر ان الكاتب في روايته يدعو الى احترام النساء .

المسرحيات والرسوم والفن المعماري

تطورت مسرحيات اسرة تشينغ على اساس المسرحيات في عهد اسرتي يوان ومينغ . وانبثقت جماعة من المسرحيين المشهورين مثل هونغ شن (١٦٤٥ - ١٧٠٤) وكونغ شان رن (١٦٤٨ - ١٧١٨) . ان « قصر الشباب الخالد » تأليف هونغ شن تروى مأساة الحب بين الامبراطور شيوان تسونغ لاسرة تانغ (٦٨٥ - ٧٦٢) ومحظينه يانغ قوى في . ومسرحية « مروحة زهور الخوخ » لكونغ شان رن تحكى قصة حب المغنية لي شيان جيون وتكشف ظلم المجتمع في اواخر اسرة مينغ وعنفوية سياستها وتشير الى اسباب هلاك اسرة مينغ الملكية .

في أيام تشيان لونغ ، ظهرت اوبرات محطية مختلفة ، جاءت الى بكين واحدة تلو أخرى بلا انقطاع . وبعد عهد جيا تشينغ (١٧٩٦ - ١٨٢٠) ، دخلت اوبرا تشين (اوبرا في مقاطعة شنشى وقانسو) ووبرا كون (اوبرا جيانسو وتشجيانغ) ووبرا هوى (اوبرا آنهوى) الى بكين وتشكلت اوبرا جديدة بعد امتزاجها وهى اوبرا بكين التى تتخذ شى بى وارهوانغ كلعن أساسى .

واما عن رسوم اسرة تشينغ فتمتاز بأسلوب فريد . . وكذلك انبثق كثير من الرسامين المشهورين . وفي السنوات ما بين عهدي شون تشى (١٦٣٨ - ١٦٦١) وكانغ شى اشتهرت رسوم المناظر الطبيعية لوانغ شى مين (١٥٩٢ - ١٦٨٠) ووانغ جيان (١٥٩٨ - ١٦٧٧) ورسوم الزهور ليون شو بينغ (١٦٣٣ - ١٦٩٠) . اما في فترة تشيان لونغ فظهر « المشاهير الثمانية في يانفتشو » اى جين دونغ شين وتشنغ بان تشيار ولوه ليانغ فنج ووانغ شى شن وهوانغ شن وقاو شيان ولى شيان ولى فاو ينغ ، وقد اسهم كل منهم في تطوير تقاليد الرسوم الصينية وعلى الاخص في رسوم المناظر الطبيعية والشخصيات والزهور والطيور مما شق طريقا جديدا للفنون الجميلة في بلادنا .

صارت الفنون المعمارية في ايام اسرة تشينغ اكثر جمالا ورونقا عن ذي قبل . ومثال ذلك حديقة يان مينغ يوان المشهورة في العالم . . بدىء في بنائها في عهد كانغ شى وانتهى العمل منها في عهد تشيان لونغ . وطول محيطها ١٥ كيلومترا وتحتوى على ١٥٠ منظرأ أخذًا متكونة من الجواسق البديعة والقصور الأنيقة والتلال والبحيرات الاصطناعية ، وفي كل البنايات الآثار النفيسة والاعمال الفنية . انها حقًا حديقة نادرة ومتحف ضخم . . ركز فيها المعمار التقليدى الصينى وبخلاصة المعمار الغربى . ومما يدعو للاسف الشديد انها قد تعرضت للاحراق على يد الغزاة البريطانيين والفرنسيين في عام ١٨٦٠ ، ليس هذا فقط ، بل نهبوا منها كمية طائلة من النقائس والآثار .

«长城丛书»
«中国古代史» (下) (阿)

*

中国建设出版社出版 (北京)
中国国际图书贸易总公司发行
北京399信箱
外文印刷厂印刷

1987年第一版

统一书号: 17514.6

I S B N 7-5072-0033-7/Z · 11

00504

17-A-1978PB

